الجامعات المفتوحة

(فلسفة - دراسات - نظم)

إعداد

دكتور

فاروق عبده فلية

أستاذ أصول التربية

وعميد كلية التربية بدمياط

جامعة المنصورة

٢٠٠٣م



مقدمة :

يعتبر التعليم بصفة عامة والتعليم الجامعى والعالى بصفة خاصة ، فى مقدمة الخدمات الأساسية التى يجب أن توفر لأبناء الشعب كافة ، وإذا كانت الحرية السياسية والتحرر الاجتماعى والاقتصادى تنعكس آثارهما بالضرورة على التعليم من حيث فلسفته وأهدافه ووسائله ، فإن التعليم يأخذ مكان الصدارة كأداة فعالة لتنفيذ وتحقيق تلك الحريات جميعاً .

فالتعليم قوة مؤثرة فى إعداد الفرد وتوجيه الجماعة ، وبسبب هذه المكانة ، أصبحت مناقشة أمور التعليم وتقويمها عملية مستمرة موصولة فى كل مكان ، سواء فى الدول النامية أو الدول المتقدمة ، كما أن التعليم لا يشتق صفاته من ذات نفسه ، وإنما يشتق تلك الصفات والسمات من واقع العوامل والقوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تسود المجتمع .

ولقد شهد التعليم الجامعى فى مصر بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م بعامة ، وصدور قوانين يوليو الاشتراكية بخاصة ، إقبالاً كبيراً وطلباً متزايداً ، واتصل بهذا الإقبال على التعليم الجامعى مشكلة الفجوة بين هذا الطلب المتزايد على الجامعات ، وقدرة مؤسسات التعليم الجامعى من ناحية الإمكانات المادية والفيزيقية والبرامج القائمة والإمكانات البشرية أيضا على مسايرته .

شــهد التعلــيم الجامعــى فـــى مصـــر فى الثمانينات سياسات لتقليص أعــداد الملتحقــين بـــه علـــى الــنحو الذى تأكد فى خطة إصلاح نظام التعليم فـــى مصـــر ٨٧ / ٨٨ ـــ ٩١ / ١٩٩٢م . فقـــد جـــاء بهـــذه الخطـــة أن الظـــروف الاقتصـــادية والسياســـية التـــى تمـــر بهـــا الـــبلاد ، قـــد أدت إلى اقتـــراح سياســـة تقـــوم علـــى الحـــد من إنفاق الدولة على التعليم الجامعى ، وتوجيه الإنفاق إلى نوع التعليم الذى يحقق عائداً اجتماعياً .

إن هـــذا يعنـــى تقلـــيل فـــرص التعلـــيم العالى ، وهو توجيه خطير ، وبخاصـــة وأن نســـبة طـــلاب هـــذا التعلـــيم العالى فى مصر إلى عدد السكان فـــى نفـــس العمـــر ، مـــا تـــزال بعـــيدة عن الاتجاهات العالمية ، حيث أنها تدور حول ١٩,٧% .

وأمـــام تقلـــيل فـــرص التعلـــيم الجامعى والعالى ، كان لابد من البحث عـــن مقاربـــة جديـــدة للالـــتحاق بالجامعات . وخاصة وأنه قد تم إنشاء عدد مـــن الجامعـــات الخاصـــة التـــى أصـــبحت تكلـــف الدارســـين بها الكثير من المصـــروفات التـــى لا يقـــدر علـــى تدبيرها إلا قلة قليلة ممن لم يجدوا مكانا فـــى الجامعـــات الحكومـــية . فكـــان التعلـــيم الجامعـــى المفـــتوح فى جامعة الإســـكندرية والقاهـــرة وغيـــرهما مـــن الجامعات منفذا منطقيا لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية .

إذا وقفـــنا عـــند المـــدخل الأهـــم لـــنظام التعلـــيم الجامعـــى المفتوح بالجامعـــات المصـــرية ، وهـــو الطالـــب المســـتفيد مـــن النظام ، لوجدنا فى

الهدف الثانى من أهداف النظام ، الذى هو توفير فرصة مميزة للتعليم لمن لا تستوعبهم الدراسة النظامية بالتعليم العالى ، وهو هدف يحمل بين طياته من التناقض والغموض ما يجعله يهدم المشروع هدما ، فإذا كان المشروع مشروعا لمن لم يستطيعوا بمجموع الدرجات التى حصلوا عليها فى الثانوية العامة ، ومن خلال مكتب تنسيق القبول بالجامعات – وهو المقياس الوحيد الممكن فى مصر لقياس قدرات الطلاب ، وقبولهم فى الجامعات أو رفضهم وتوزيعهم على كلياتها المختلفة – أن يجدوا لهم مكانا فى الجامعات ، فكيف يوفر المشروع لهؤلاء فرصة مميزة ؟ إن الفرصة المميزة إنما هى فرصة من وزعهم مكتب التنسيق على الجامعات من الحاصلين على الثانوية العامة ، ليحصلوا على الدراسة الجامعية النظامية ، وليست مميزة أبدا فرصة من يتلمسون السبل كلها ليحصلوا على الدرجة الجامعية دون أن (يعايشوا) الحياة الجامعية .

أولاً : بعض الاتجاهات العالمية المعاصرة فى مجال التعليم الجامعى المفتوح

يمكن تحديد الملامح الأساسية التى تميز نظام التعليم الجامعى المفتوح فيما يلى :

- يتحمل المتعلمون مسئولية تعلمهم .
- يتعلم المتعلمون بمفردهم أو فى مجموعات صغيرة .
- يتعلم المتعلمون بمعدلهم الخاص ، وفى الأوقات التى تناسبهم .
- التعلم من المواد التعليمية .
- استخدام الوسائط المسموعة والمرئية .
- التعلم الإيجابى النشط بدلاً من التعلم السلبى .
- التقويم الذاتى .
- المتعلم يعتمد على أقل قدر من المساعدة من المعلم .

ويتميز التعليم المفتوح بعدة مميزات منها :

١) المرونة فى قبول الطلاب .

٢) المحافظة على نوعية الدراسة من خلال مساعدة الدارس على التعلم المستقل .

٣) الاتصال بالمتعلم والتنظيم مع المشرف عليه فى فترات مختلفة .

٤) التركيز على التعلم الذاتى عن طريق نظام مخطط وضع من قبل المؤسسة التعليمية .

٥) إنتاج وإعداد المواد التعليمية ذات المستوى الأكاديمى الممتاز .
٦) الاقتصاد فى النفقات فى التعليم .

كما يتميز التعليم الجامعى المفتوح بقدرته على تقديم التعلم لطلاب كثيرين ، ممن لا يمكنهم الحصول على تلك الفرصة بطريقة أخرى ، وهذا يتضمن سكان الريف والمعوقين والأمهات اللاتى لديهن أطفال يحتاجون إلى رعاية بالمنزل ، وكبار السن .

وهكذا ومن خلال تلك المميزات التى تميز التعليم المفتوح ، يتضح أن هذا النوع من التعليم يعالج أوجه القصور الموجودة فى التعليم التقليدى عامة ، والتعليم الجامعى التقليدى خاصة ، وذلك من حيث الأهداف أو الإدارة أو نظام الدراسة أو المناهج والمقررات أو وسائط التعلم أو نظم تقويم الدارسين .

وخلال السطور التالية سوف نتناول بعض الاتجاهات العالمية المعاصرة فى مجال التعليم الجامعى المفتوح وذلك على النحو التالى :

أ) **أهداف التعليم الجامعى المفتوح :**

ثمة حقيقية هى أن التعليم المفتوح حقق أحلام الآلاف بل الملايين فى الحصول على تعليم جامعى حرموا منه لأى سبب من الأسباب ، بعد أن كان التعليم الجامعى هو تعليم الصفوة ، وأيضا حقق أحلام العديد من الدول فى تحقيق الاستيعاب الكامل وتعليم كل أبنائها

الذين يرغبون فيه من أجل تحقيق التنمية الشاملة لأوطانهم ، كما أن هذا النظام أكد أهمية التعليم مدى الحياة بل وأتاح الفرص العديدة والمتنوعة له ، فى عصر يتغير تغيرات سريعة ، تحتاج إلى التكيف السريع . لذلك كانت أهداف هذا النظام متنوعة لا تشمل الفرد فقط بل شملت الفرد والمجتمع بكل جوانبه الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى الرغم من أن أهداف التعليم الجامعى المفتوح قد تتشابه إلى حد ما مع أهداف التعليم الجامعى التقليدى ، فى معظم الدول التى أخذت بنظام التعليم الجامعى المفتوح – ففى باكستان تهدف جامعة العلامة إقبال المفتوحة إلى توفير فرص التعلم لأعداد كبيرة من المتعلمين فى باكستان . وفى تايلاند تهدف إلى توفير فرص للراغبين فى الالتحاق بالتعليم الجامعى ، حيث تبدى الجامعة مرونة فى شروط قبول الطلاب ، وفى استراليا أنشئت جامعة ديكن المفتوحة لتقوم بتدريب العديد من المواطنين ، وفقا لمقتضيات العصر . إلا أن للتعليم المفتوح أهدافا نوعية خاصة به تتمثل فيما يلى :

١) التجديد الشامل للنظام التربوى ، بطريقة تتضمن تحديث المعلومات وتجديدها ، وتحقيق مفهوم جديد للتربية يتلاءم مع الانفجار المعرفى والثورة العلمية والتكنولوجية التى يشهدها العصر الحديث ، حيث لم يعد هدف التربية مجرد نقل المعرفة ، بل أصبح أعظم أهدافها هو تأهيل الأفراد ذوى الكفاءة عن طريق التعليم المستمر والتعلم الذاتى .

٢) نظراً لما يتسم به التعليم الجامعى المفتوح من مرونة فى استيعاب متغيرات العصر ، لذا فهو يهدف إلى تدريب الأفراد على إتقان المهارات الجديدة التى تتفق مع متطلباتهم وقدراتهم واستعداداتهم ، طبقا للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى يشهدها المجتمع ، وهذا يؤكد على أهمية التعليم والتدريب المستمرين اللذين يوفرهما التعليم الجامعى المفتوح لأفراد المجتمع ، تمشياً مع حاجات سوق العمل .

٣) تقديم فرص تعليمية للفئات التى حرمت من حقوقها التعليمية ، كسبيل للحد من التفاوت الاجتماعى فى التعليم ، فهذا التعليم يصل لكل فرد فى أى مكان ، فى الريف وفى الحضر وفى السجون وفيما وراء البحار ، خاصة بعد ظهور التليفزيون والتكنولوجيا الحديثة فى التسجيلات المسموعة والمرئية ، وبالتالى نجد فيه استثمارا لأوقات فراغ الكبار وربات البيوت فى تثقيفهم أنفسهم .

٤) الاستفادة من التطورات الحديثة فى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فى خدمة العملية التعليمية ، وتحسين نوعية التعليم ، وتطبيق مبادئ التعلم الذاتى وتفريد التعلم . وهذا يعنى أن التكنولوجيا الحديثة هى العامل الأساسى الذى ساعد على انتشار هذا النوع من التعليم ، ولولاها لظل التعليم بالمراسلة فى حدود ضيقة ، وربما كان هذا فرق أساسى بينه وبين التعليم

الجامعى التقليدى ، فاستيعاب التعليم المفتوح لتكنولوجيا الاتصال الحديثة ، واعتماده عليها جعله متميزا عن التعليم التقليدى فى تقديم تعليم نوعى جيد يحفز على التفكير والإبداع .

٥) يهدف التعليم الجامعى المفتوح إلى تحقيق ديمقراطية التعليم وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، فديمقراطية التعليم تتحقق من خلال الحرية الكاملة التى يتمتع بها الدارس فى اختياره لبرنامجه ، واختياره لما يحقق احتياجاته من اكتساب مهارات أو تدريبات متنوعة . أما مبدأ تكافؤ الفرص فيتحقق من خلال أن هذا النظام لا يضع شروطا معوقة للالتحاق به .

٦) ومن الأهداف الاقتصادية للتعليم المفتوح الارتقاء بالحياة الثقافية والاجتماعية ، ورفع مستوى المعيشة عن طريق حصول الدارسين على تدريبات عالية ، وتخريج علماء وفنيين تحتاجهم البلاد فى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولأن التعليم المفتوح قليل التكلفة ، لذا فإنه لا يمثل أية أعباء مادية تتحملها الدولة ، كما أن هذا النظام لا يؤثر أيضا على دخل الفرد الذى يعمل ، فهو يسمح للدارسين العاملين بالبقاء فى أعمالهم ، مع استمرارهم فى الدراسة دون شرط التفرغ .

٧) الاستجابة للطلب المتزايد على التعليم الجامعى ، فتوسيع فرص التعليم الجامعى لمزيد من الدارسين الراغبين فى الالتحاق بمؤسسات التعليم العالى ، يخفف الضغوط على التعليم التقليدى

مـن خـلال التعلـيم الجامعـى المفـتوح الذى ساعد على حل مشكلة الـتكدس الطلابـى فـى الجامعـات التقلـيدية ، ومـا ترتب عليها من ضـعف فـى نوعـية التعلـيم المقـدم ، والعجـز الشديد فى أعضاء هيـئة الـتدريس ، ونقـص الإمكانـيات الماديـة من معامل وأجهزة وأدوات ... إلـخ ، كمـا أن هـذا التعلـيم حقق الفرص الجيدة للطلاب الـذين أنهـوا تعلـيمهم الـثانوى ، ولم تمكنهم الشروط الجامعية من الالتحاق بها .

ب) إدارة التعليم المفتوح :

تخـتلف إدارة التعلـيم الجامعـى المفـتوح مـن مجـتمع إلى آخر ، وذلـك لاخـتلاف طبـيعة كـل مجـتمع وفلسـفته عما عداه من المجتمعات الأخـرى ، ففـى أسـبانيا تـدار الجامعـة الوطنـية عن طريق مجلس إدارة يضم :

١) مدير الجامعة .
٢) السكرتير العام للجامعة .
٣) ثلاثة من رؤساء المراكز المحلية .
٤) ثلاثة من مديرى الجامعات الأسبانية .
٥) ممـثلون لهيـئات مـتعددة مـن أهمهـا : الإذاعة والتليفزيون واتحاد البنوك والبرلمان وممثلون للطلاب .

ويرأس الجامعة مدير يعاونه عدد من النواب هم :

أ) نائب المدير للإنسانيات والشئون الأكاديمية .

ب) نائب المدير للعلوم والبحوث .

ج) نائب المدير لشئون الطلاب والمراكز الدراسية .

د) نائب المدير للتعليم الدائم . فضلا عن السكرتير العام للجامعة .

وهناك عمداء الكليات الخمس التى تتكون منها الجامعة ، ومدير تنسيق برامج الراشدين (فوق الخامسة والعشرين) ، ومدير معهد العلوم ، ومدير البرامج الثقافية والمقررات التجديدية ، والمدير الفنى ، يضاف إلى ذلك أن لكل كلية من كليات الجامعة الخمس مجلس يديرها يضم عميد الكلية ورؤساء الأقسام العلمية بها .

وثمة ملمح مهم يتمثل فى مشاركة الطلاب فى إدارة الجامعة على المستوى المركزى والمستوى المحلى ، إذ يجرى فى كل مركز من مراكز الدراسة انتخابات يختار الطلاب فيها ممثلين لهم فى مجلس إدارة المركز ، ومجلس إدارة الجامعة ، وفى هذا ترجمة للتوجه السياسى للدولة بعد عهد فرانكو . وفى تايلاند يرأس مجلس الجامعة ، رئيس جامعة سوكوتاهى تاما ثيرات ويتعاون مع رئيس الجامعة المجلس الأكاديمى ، وهناك سبعة نواب لرئيس الجامعة ، لكل منهم مسئوليات عديدة وهم : نائب رئيس الجامعة (للشئون الأكاديمية ـ للتخطيط ـ للعمليات ـ للإدارة ـ للتطوير ـ للشئون الخاصة ـ للخدمات) .

ج) البرامج الدراسية :

تقدمٌ جامعة سوكوتاهى تاما ثيرات المفتوحة بتايلاند ثلاثة أنواع من البرامج هي : برامج لمرحلة البكالوريوس ، وبرامج الدراسات العليا ، وبرامج التعليم المستمر ، والتي يطلق عليها ما بعد الخبرة وذلك في عشر كليات هي (الدراسات التربوية ـ علوم الإدارة ـ القانون ـ الاقتصاد ـ التعاونيات والزراعة ـ الفنون الحرة ـ علوم سياسية ـ فنون الاتصال ـ الاقتصاد المنزلي ـ العلوم الصحية) .

وفي أستراليا تقدم جامعة ديكين المفتوحة Deakin University التعليم من بعد بجانب التعليم النظامي ، ومن البرامج التي تقدمها للتعليم من بعد : برامج الدرجة الجامعية الأولى ، وذلك في كليات الفنون والتربية والعلوم السلوكية والصحية والإدارة والعلوم والتكنولوجيا ، وبرامج لمرحلة الدراسات العليا ، وذلك في التربية والإدارة التربوية وتغذية الإنسان وإدارة الأعمال والكمبيوتر . وهناك برامج التعليم المستمر في العلوم المختلفة التي تقدمها كليات الجامعة بأسلوب التعليم من بعد في صورة دبلومات .

د) وسائل وأساليب التعليم المفتوح :

لعل وسائل وأساليب التعليم في نظام التعليم الجامعي المفتوح ، تختلف باختلاف المؤسسات التعليمية واختلاف الدول التي تعتمد على هذا النظام وحسب إمكاناتها ، والأهداف التي تسعى لتحقيقها من

استخدام هذا النظام ، ففى باكستان تعتمد جامعة العلامة إقبال المفتوحة على وسائل الإعلام والتقنيات الأخرى فى توصيل التعليم لطلابها ، ومن هذه الوسائل والأساليب التليفزيون والإذاعة والتسجيلات الصوتية والمواد المطبوعة التى ترسل بالبريد ، واللقاءات المتعددة بين الأساتذة والطلاب ، وفى دراسة ميدانية أجريت عام ١٩٩٠ على حوالى ١٦٥٠ طالبا ، لمعرفة آراءهم حول الإجابة عن سؤالين هما : لماذا وكيف يتعلم طلاب جامعة العلامة إقبال من خلال نظام التعليم عن بعد ؟ أجاب معظمهم بأن أهم العناصر التى ربطت بينهم وبين تلك الجامعة ، ورفعت من معدل دافعيتهم للدراسة بها هى المقابلات التى كانت تجمعهم بأساتذتهم ، ثم تكليفهم بقراءة كتب متعلقة بالمسافات التى يدرسونها ، ثم تكليفهم بواجبات يقومون بحلها وتقديمها للجامعة ، حتى يتم تصحيحها . وفى أستراليا تقدم الجامعة تعليمها للطلاب عن طريق إرسال المواد المطبوعة بالبريد ، واستعمال الأشرطة الصوتية والمرئية ، واستخدام الإذاعة والتليفزيون والحاسب الآلى والبريد الإلكترونى والهاتف .

وعموماً يوجد هناك أنواع متعددة من الوسائل التى يعتمدها نظام التعليم المفتوح، ولعل أهم هذه الوسائل هى :

١) **المواد المطبوعة :** وتشمل الكتب الدراسية المؤلفة لأغراض تعليمية، والكتب المنشورة والنشرات التعليمية والصحف والدوريات والمجلات العلمية المتخصصة ، كما تشمل المواد

المطبوعة كتب التدريبات والتقنيات الخاصة بالبرامج الإذاعية والتليفزيونية ، ويعتبر الكتاب أكثر الوسائل طواعية للتعلم ، وذلك لسهولة نقله والاحتفاظ به لفترة أطول ، كما يمكن التعليق على مواضيعه والإجابة على استفساراته وأسئلته .

٢) المواد السمعية : وتشمل الإذاعة (الراديو) والتسجيلات الصوتية، حيث تعتبر الإذاعة من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً لقلة تكاليفها وقدرتها على الوصول للمتعلمين فى أماكن جغرافية متباعدة ، بحيث تتخطى الأماكن ، وسرعتها فى إيصال البرامج التعليمية للمتعلمين ودقتها وفوريتها ، كما أنها تدعم المواد المطبوعة عن طريق إيقاعات وشروحات خاصة ، تسهل على القارئين استلام الإجابات حول استفساراتهم .

٣) التليفزيون والتقنيات الفضائية من أقمار صناعية ومحطات أرضية، ويعتبر التليفزيون من أكثر وسائل التعليم أهمية لاحتوائه على الصوت والصورة معا ، وسهولة توفره لدى المتعلمين ، فيمكن عن طريق مشاهدة المذيع ونقل التجارب العلمية والتطبيقات العملية للمتعلمين فى أماكنهم ، كما يمكنه تخطى البعد الجغرافى المكانى والزمانى ، وذلك بفضل وجود التقنيات الفضائية الحديثة ، حيث أصبح من السهل نقل البرامج العلمية من مكان لآخر فى وقت قصير جدا وعرضها على شاشات التليفزيون لجماهير المتعلمين فى أماكن متباعدة .

٤) **الهاتف** : رغم أن تكلفة استخدام الهاتف تحد من فاعليته كوسيلة معتمدة فى نظام التعليم المفتوح ، إلا أنه يبقى فعالا فى مجال الاتصال المباشر بين المعلم والمتعلم ، حيث يلجأ المتعلم أحيانا للاتصال بأستاذه للتشاور حول أحد الموضوعات أو المناقشة فيه .

٥) **النظام المتعدد الوسائط** : لعل هذا النظام أكثر الوسائل المعتمدة فى نظام التعليم الجامعى المفتوح نجاحا ، حيث يشمل هذا النظام استخدام أكثر من وسيلة فى وقت واحد ، وذلك للتأكيد على فعالية ونجاح نظام التعليم المفتوح ، فمثلاً يمكن استخدام الكتاب والتليفزيون والهاتف معاً فى نظام التعليم الجامعى المفتوح .

٦) **الاتصال المباشر واللقاءات والحلقات الدراسية** : تعقد اللقاءات بين الطلبة ومعلميهم فى نظام التعليم المفتوح بين الحين والآخر ، وذلك للتأكيد على نظام الاتصال والتواصل الدائم بين الطلبة والأساتذة ، ولاستقبال الاستفسارات والتوجيهات حول الموضوعات التى يتعلمونها ، كما أن الحلقات الدراسية من أفضل السبل المعتمدة فى نظام التعليم الجامعى المفتوح .

هـ) نظام قبول الطلاب بالتعليم الجامعى المفتوح :

تبدى الجامعة المفتوحة فى تايلاند مرونة كبيرة فى شروطها لقبول الطلاب ، وذلك رغبة منها فى إتاحة الفرصة أمام عدد كبير من الدارسين ، الذين لم تمكنهم ظروفهم من الالتحاق بالجامعات

الحكومية ، وهذا جعلها باعتراف منظمة اليونسكو جامعة رائدة لقارة آسيا والباسيفيك ، نظراً لضخامة عدد الطلاب من الموظفين الملتحقين بها للحصول على درجات جامعية ، أو من حيث أعداد المتدربين الملتحقين بالبرامج التى تقدمها فى مجال التعليم المستمر ، أو من حيث تعدد وتنوع البرامج التى تقدمها .

وفى أسبانيا تقبل الجامعة المفتوحة – كغيرها من الجامعات – الحاصلين على الشهادة الثانوية ، وفى ذات الوقت تتيح الفرصة للراشدين ممن تجاوزوا سن الخامسة والعشرين للالتحاق بالجامعة ، إذ يدرسون برنامجا دراسيا مدته عام جامعى ، يتضمن تعليما عاما وتعليما تخصصيا ، وفى نهاية العام هناك اختبار يلتحق الناجحون فيه بالجامعة لدراسة التخصص الذى يختارونه ، وواضح أن ثمة فرقا بين قبول هؤلاء الراشدين فى الجامعات التقليدية وقبولهم بهذه الجامعة ، إذ بينما تعقد الجامعات التقليدية اختبارات لقبولهم ، فإن الجامعة الوطنية للتعليم عن بعد فى أسبانيا تقدم لهم برنامجا دراسيا مدته عام يمتحنون فى نهايته ، ونجاحهم فيه يتيح لهم فرصة استكمال الدراسة الجامعية .

وتتيح الجامعة الوطنية فرص الالتحاق لنوعيات متنوعة من الراشدين من :

أ) سكان المناطق النائية المحرومة من التعليم الجامعى والعالى .

ب) الفئات التى لم تستطع إكمال التعليم العالى بعد الالتحاق به لظروف مختلفة .

ج) الفئات التى لم تستطع الالتحاق أساساً بالتعليم العالى .
د) الفئات التى ترغب فى الإفادة من التعليم الجامعى فى الحراك المهنى .

كذلك تقدم الجامعة المفتوحة بتايلاند فرص الالتحاق بها للدارسين الذين يعتبروا ممثلين لشرائح مختلفة لقطاعات المجتمع . وفى هذه الجامعة تقدم إلى الدارسين مجموعة من المقررات المركزة التى يحتاج كل مقرر منها على الأقل إلى ست ساعات معتمدة ، وهذه المقررات تقدم لطلاب مرحلة البكالوريوس خلال مدة الدراسة التى تمتد إلى أربع سنوات . وخلال اللقاءات المباشرة التى تتم بين الدارسين وأساتذتهم ، يسمح للدارسين بأن يناقشوا أساتذتهم حول الموضوعات التى تتعلق بالتعلم الذاتى والتى يصعب عليهم دراستها بصورة مستقلة ، ويتسلمون إجابات تفصيلية لتلك الموضوعات .

و) تمويل التعليم الجامعى المفتوح :

أما عن تمويل الجامعة الوطنية المفتوحة فى أسبانيا ، فإن هناك مصادر متعددة تشمل ما تخصصه الدولة لها من ميزانية ، وما يدفعه الطلاب من رسوم ، وما تقدمه الهيئات المحلية وبخاصة المراكز الدراسية ، فضلا عن التبرعات والهبات . ومن المصادر التمويلية أيضا ، ما يعود على الجامعة من عائدات بيع المواد التعليمية المطبوعة والمسجلة صوتا وصورة ، لطلاب الجامعات الأسبانية الأخرى والجمهور .

وهكـذا نجـد أن الجامعـة الوطنـية للتعلـيم من بعد ، قد سدت ثغرة كبيـرة فـى تعلـيم الراشـدين فـى أسبانيا ، وهذا يوضح أهمية التعاون بين الجامعـة كمؤسسـة حكومـية والجامعـات الأخـرى حكومـية وخاصـة ، وكـذلك الهيـئات المخـتلفة التـى أسـهمت فى إنشاء المراكز الدراسية التى زاد عددها من أحد عشر مركزا إلى خمسين مركزا .

وقـد تظهـر أهمـية هـذا الـتعاون إذا عـرفنا أن الدولة تعتمد على المعـونات الدولـية لتطويـر التعلـيم فـى أسـبانيا ، إذ أنـه منذ السبعينات ومـع صـدور قانـون التعلـيم العـام سنة ١٩٧٠ قدم البنك الدولى للإنشاء والتعميـر قرضـا قيمـته ١٢ ملـيون دولار لـتمويل ٥٠% مـن متطلبات تنفـيذ القانـون ، ثـم قـدم ذات البـنك قرضـا آخر عام ١٩٧٢ قدره ٥٠ ملـيون دولار كجـزء مـن قـرض أكبـر قـدره ١٥٢ ملـيون دولار لتنفيذ القانون وتحقيق الأهداف الموضوعة .

نظام تقويم الطلاب :

يـرتبط الـتقويم بالأهـداف الموضـوعة ، وهـناك مواصفات شروط للـتقويم مـنها الشـمول والاسـتمرارية ومـراعاة الفـروق الفردية والأثر الطـيب ، وصـلاحية أدواتـه وتـنوعها . وهـناك وسـائل متعددة تستخدم لـتقويم الدارسـين فـى بـرامج التعلـيم الجامعى المفتوح ، منها الواجبات المنـزلية التـى يكلـف بهـا الـدارس ، ويرسـلها ليصحح بعضها بالحاسب الآلـى ، ويصـحح الـبعض الآخـر عـن طـريق أعضـاء هيئة التدريس ،

ومنها الاختبارات التى ترسل للدارسين ليجيبوا عنها ، ومنها الاختبارات التى تعقد للدارسين فى نهاية كل مقرر ، وتتنوع هذه الاختبارات النهائية لتشمل الاختبارات الموضوعية بأشكالها المختلفة ، واختبارات المقال واختبارات الأداء .

وفى الجامعة المفتوحة فى أسبانيا ، يقسم المقرر الدراسى إلى ست وحدات تحتوى كل وحدة على ست موضوعات . وعلى الدارسين فيما يتعلق بالوحدة الأولى والثانية أن يجيبوا على اختبار تقويمى مكتوب ، ويرسلوه إلى الجامعة المفتوحة ، ويعقد بعد الوحدة الثالثة اختبار تقويمى يغطى الوحدات الثلاث الأولى ، وهناك أيضا بعد الوحدة الرابعة والوحدة الخامسة اختبارات مكتوبة ترسل إلى الجامعة ، يليها اختبار بعد نهاية الوحدة السادسة . ويعنى هذا استمرارية التقويم وشموله لوحدات المقرر فى نفس الوقت .

تجارب فى

التعليم الجامعى المفتوح

أولا : من التجارب العربية فى مجال التعليم المفتوح

تمهيد :

فى عالمنا المعاصر ، حيث التفجر المعرفى السكانى والثورة العلمية والتكنولوجية وارتياد الفضاء وغزو القمر ، أخذت دول العالم أجمع - المتقدمة والنامية على حد سواء - تتفحص أنظمتها التربوية بحثاً عن مواقع الخلل والقصور فى أسس البناء ، وتولدت قناعة لدى المسؤولين فى هذه الدول بأن التربية بمؤسساتها التقليدية لم تعد قادرة على الاضطلاع بمسؤولياتها ووظائفها الجديدة التى أفرزتها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية . ولقد حدا ذلك بعض الدول المتقدمة إلى المطالبة بإلغاء المدرسة بصفتها مؤسسة وحيدة للتربية أو إنهاء وظيفتها بسبب عدم قدرتها على مواكبة هذه التغيرات ، وبالتالى عدم قدرتها على تلبية الاحتياجات الاجتماعية والفردية والاستجابة لمتطلبات خطط التنمية الوطنية .

ولقد أخذت هذه الدول المتقدمة صناعياً تقوم بعملية مراجعة جذرية وشاملة لأنظمتها التربوية بهدف التغيير الشامل فى الفكر التربوى والممارسات التربوية حتى أفرزت هذه المراجعة أنظمة

تـربوية جديـدة كـل الجـدة وملائمـة لطبيعة التفوق العلمى والتكنولوجى الذى حققته هذه الدول فى هذا العصر .

أمـا بالنسـبة للـدول الناميـة فإن المعضلة كانت أكثر حدة ، وحجم التغييـر المطلـوب فـى أنظمـتها التـربوية كـان أشد عمقاً . ولقد أدركت بعـض هـذه الـدول أن التنمـية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة لا تتحقق إلا بـتفاعل جـرىء بـين الإنسـان هـدف التنمـية ووسـيلتها والبيـئة الطبيعـية ، وبـين الإنسـان والمعطـيات العلمـية والحضـارية . ونتيجة لهـذا الإدراك فقـد عكفـت هـذه الدول على مراجعة نظمها التربوية بهدف تجديـدها وتطويـرها ووضـعت خططـاً تـربوية لإحداث التغيير المنشود ، إلا أن هـذه الجهـود وتلـك الخطـط اصـطدمت بمعوقات كثيرة حالت دون تحقيق التطوير النوعى الشامل ، والإصلاح التربوى المنشود .

ولقـد شـهد التعلـيم العالـى فـى الـبلاد العـربية بوجه عام وفى مـنطقة الخلـيج العـربية بـوجه خـاص توسعاً كمياً متسارعاً خلال العقود الـثلاثة الماضـية ، حـيث بلـغ عـدد الجامعـات فى البلاد العربية حوالى (٦٣) ثـلاث وسـتون جامعـة مـنها (١٧) سـبع عشـرة جامعة فى دول الخلـيج العـربية . كمـا ازداد عـدد طلـبة التعليم العالى خلال تلك الفترة بسـرعة كبيـرة ، حـيث ارتفـع مـن (١٦٣,٠٠٠) مائة وثلاثة وستين ألفـاً عـام (١٩٦٠) إلـى (١,٤٤٠,٠٠٠) ملـيون وأربعمائـة وأربعين ألفـاً عـام (١٩٨٠) ، ويـتوقع أن يصـل هـذا العـدد إلـى حوالـى

(٦,٢٢٠,٠٠٠) ستة ملايين ومائتى ألف طالب عام (٢٠٠٠) للميلاد .

ولقد ازداد عدد أعضاء هيئة التدريس خلال نفس الفترة من (٩٠٠٠) تسعة آلاف عام (١٩٦٠) إلى حوالى (٧٦,٠٠٠) ستة وسبعين ألفاً عام (١٩٨٠) ، ويتوقع أن يصل هذا العدد إلى حوالى (٢٠٠,٠٠٠) مائتى ألف عضو هيئة تدريس عام (٢٠٠٠) للميلاد .

وعلى الرغم من هذا التوسع الكمى الذى شهده التعليم فى البلاد العربية ، إلا أن هذا التوسع ظل قاصراً على استيعاب الأعداد المتزايدة الراغبة فى الالتحاق به نتيجة للتزايد الكبير فى الطلب الاجتماعى على التعليم العالى ، كما أن القدرات الاستيعابية لمؤسسات التعليم العالى ما زالت دون الحجم الذى يمكنها من استيعاب خريجى التعليم الثانوى الراغبين بمتابعة دراستهم الجامعية . ولا زالت أعداد كبيرة من هؤلاء الخريجين لا يجدون أماكن لهم فى الجامعات ومؤسسات التعليم العالى ، الأمر الذى يشكل عقبة فى طريق تحقيق ديمقراطية التعليم العالى .

يضاف إلى ذلك أن هذا التوسع الكمى الذى شهده التعليم العالى فى البلاد العربية ، لم يواكبه تحسن فى نوعية هذا التعليم وجودته . فلقد بقى التعليم العالى ــ لأسباب وعوامل متعددة ــ محافظاً إلى حد

كبيـر علـى الـنمط التقلـيدى سـواء مـن حيث فلسفته وأهدافه وهياكله وبناه التنظيمية أو من حيث محتواه وطرقه وأساليبه ونظم تقويمه .

ونتـيجة لأوضـاع نظـام التعلـيم العالـى السائدة فى البلاد العربية فقـد تـوجهت إلـى هـذا النظام الكثير من الانتقادات وعلى الأخص لضعف فاعلـية هـذا الـنظام وكفاءتـه التـى تجلت فى عدم قدرته على الاستجابة للمتطلـبات الاجتماعـية والاقتصـادية والثقافـية والسياسـية للمجـتمع العربـى وعـدم مواكبـته لمظاهـر الـتطور والـنمو شهدته الدول العربية وبخاصـة فـى العقـود الـثلاثة الماضـية ، فضلا عن عدم تمكنه من تبنى واسـتيعاب الاتجاهـات التـربوية المعاصـرة ومظاهـر الـتجديد والتحديث التـى طبقـتها مؤسسـات التعلـيم العالـى فـى كثير من البلدان المتطورة والنامية وكانت نتائجها إيجابية .

وأن الـتحديات التـى تـواجه أنظمـة التعلـيم العالـى فـى الـبلاد العـربية لا يمكـن التصـدى لهـا بالأساليب والطرق التقليدية ، إذ لابد من اعـتماد منهجـية علمـية فـى التخطـيط طـويل المـدى وتبنى سياسات وقـرارات تتصـف بالمـرونة والدقـة وقابلـية التطبـيق وتوفيـر بـدائل مـتعددة مـن الأنظمـة يـتم الاختيار فيما بينها وفقاً لكفاءتها وتوفير بدائل مـتعددة مـن الأنظمـة يـتم الاختـيار فـيما بينها وفقاً لكفاءتها وفاعليتها وكلفـتها ، وابـتكار حلـول إبداعـية للمعضـلات ومواقـع الاختـناق التى تعانى منها أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية .

من جوانب القصور فى أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية :

نتـيجة للتوسـع الكمـى الهائـل الذى شهده التعليم العالى فى البلاد العـربية خـلال العقـود الـثلاثة الماضـية ، فقد عانى التعليم العالى عديداً مـن أوجـه القصـور والسـلبيات والمشـكلات التـى أعاقت نموه وتطوره وحدت من كفايته وكفاءته وفعاليته وجودته .

وأن أيـة مـراجعة متأنـية للدراسـات والـبحوث التـى تم إجراؤها والمـتعلقة بأنظمـة التعلـيم العالـى فى البلاد العربية تكشف لنا عن العديد مـن المعضـلات ومواقـع الاختـناق التى واكبت مسيرة هذا التعليم وحالت دون تحقـيقه دون تحقـيقه للأهـداف التـى يسـعى لبلوغها . وفيما يأتى بعض جوانب القصور فى أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية :

١) تبنى نماذج مستوردة :

إن مـراجعة تـاريخ التعلـيم العالـى فـى الـبلاد العـربية والتطور الـذى مـر بـه تكشـف لـنا بوضـوح علـى أن أنظمة التعليم العالى فى معظمهـا قـد تـم اسـتيرادها وتبنـيها نقلا عن أنظمة أجنبية . وأن نماذج التعلـيم العالـى المعـتمدة فـى الـبلاد العـربية تسـير وفـق الـنموذج البريطانـى أو الـنموذج الفرنسـى أو الـنموذج الأمريكى أو بعض النماذج الاشـتراكية . والجديـر بالذكـر هـنا أن هـذه النماذج قد تم اعتمادها فى بلادهـا ضـمن السـياق الثقافـى والحضـارى لـتلك المجـتمعات وجاءت ملبـية للحاجـات والأهـداف التـى حـددتها تلك المجتمعات . ومن هنا فإن

استيراد تلك الأنظمة وتطبيقها فى البلاد العربية دون مواءمة أو تكييف لطبيعة المجتمع العربى وذاتيته الثقافية يؤدى إلى تشويه تلك الأنظمة وتحويلها إلى تجارب ممسوخة بعيدة عن أرض الواقع ومتطلباته وحاجاته .

٢) عدم القدر على استيعاب جميع الطلاب المؤهلين لمواصلة التعليم العالى :

تعتبر مشكلة عدم استيعاب الطلاب الراغبين فى الالتحاق بمؤسسات التعليم العالى فى البلاد العربية من أبرز جوانب القصور التى تواجه هذا التعليم . وتكاد تكون هذه المشكلة عامة فى جميع البلاد العربية ما عدا بعض الدول الخليجية . فالطاقة الاستيعابية لمؤسسات التعليم العالى أدنى بكثير من الطلب الاجتماعى والتدفق الطلابى على التعليم الجامعى . وأن النسب القليلة ممن أكملوا الدراسة الثانوية الذين تتاح لهم الفرصة للالتحاق بالتعليم الجامعى هم من المحظوظين الذين حصلوا على معدلات مرتفعة جداً فى شهادة الدراسة الثانوية ، الأمر الذى يضطر إعداداً كبيرة جداً من الطلبة العرب الذين تغلق الجامعات العربية أبوابها فى وجوههم إلى البحث عن فرص التعليم الجامعى فى الدول الأجنبية وبخاصة فى أوروبا وأمريكا . ولا تخفى الآثار النفسية والاجتماعية الناتجة عن هذا الاغتراب القسرى بالإضافة إلى الإهدار الاقتصادى المترتب على النفقات الباهظة للدراسة فى الخارج .

٣) النمطية : Stereotyping

تعد النمطية من أبرز جوانب القصور فى أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية ، وتتجلى هذه النمطية فيما يأتى :

أ- الخطط والمناهج الدراسية والسنوات الدراسية والساعات المعتمدة الموحدة لجميع الطلبة .

ب- الدراسة المنتظمة لجميع الطلبة التى تقتضى الحضور أو المواجهة الصفية والانتظام الكامل فى الدراسة وهى نهارية .

ج- اقتصار الدراسة الجامعية على الطلبة من الفئة العمرية (١٨ ـ ٢٣)

د- إن مؤسسات التعليم العالى مؤسسات حكومية فى الغالب الأعم (باستثناء حالات قليلة جداً) وجميعها تتقاضى من الطلبة رسوماً دراسية باستثناء جامعات دول الخليج العربية وجامعات قليلة أخرى خارج دول الخليج العربى) .

ه- اعتماد تسلسل علامات الطلبة فى شهادة الدراسة الثانوية معياراً أساسياً ووحيداً فى حالات كثيرة للقبول وتوزيع الطلبة على الكلمات والبرامج الدراسية المختلفة .

و- متطلبات النجاح والتخريج موحدة لجميع الطلبة فى جميع الكليات والبرامج الدراسية .

٤) **الثنائية أو الازدواجية :**

تتجلى هذه الثنائية أو الازدواجية من خلال تقسيم الكليات أو الدوائر الأكاديمية فى الجامعات العربية إلى كليات علمية وكليات أدبية ويرافق هذا التقسيم النظرة المتميزة للكليات العلمية والنظرة الدونية للكليات الأدبية . وتستمر هذه النظرة المتحيزة لخريجى هذه الكليات . حيث يحصل خريجو الكليات العلمية على امتيازات وظيفية ومادية يحرم منها خريجو الكليات الأدبية (علاوات المهنة أو التفرغ أو الندرة للأطباء والمهندسين والصيادلة وأطباء الأسنان وبعض خريجى كليات العلوم .... إلخ .

ويضاف إلى هذه الثنائية ظاهرة الاختلال الموجودة بين مدخلات الكليات العلمية ومدخلات الكليات مما ينتج عنه اختلال التركيب النوعى للتعليم العالى وتخرج النسب الكبيرة من الخريجين من التخصصات والأقسام الأدبية بالمقارنة مع خريجى التخصصات والأقسام العلمية بالرغم من أن احتياجات خطط التنمية تتركز على طلب العمالة الفنية التطبيقية .

٥) **الجمود والشكلية :**

تعانى أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية ، بحكم نشأتها ونتيجة لاعتمادها على النماذج الغربية المستوردة ، من الجمود والشكلية سواء فى هياكلها وبناها التنظيمية أم فى محتوى برامجها

ومناهجها أم فى الطرق والوسائل والإجراءات التى تعتمدها . ولذلك فإن هذه الأنظمة تتصف بالتقليدية والجمود والشكلية .

٦) نقص المواءمة أو الموازنة بين مخرجات التعليم العالى واحتياجات خطط الوطنية :

من مظاهر الاختلال فى أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية نقص المواءمة أو الموازنة بين مخرجات التعليم العالى واحتياجات خطط التنمية الوطنية من العمالة الفنية المؤهلة والمدربة .

فالسياسات المعتمة فى قبول الطلبة فى الجامعات لا تقررها احتياجات خطط التنمية الوطنية من العمالة الماهرة وإنما تقررها أحيانا النظرة الاجتماعية السائدة .

٧) المركزية فى صناعة القرارات :

إن مراجعة الهياكل والبنى الإدارية واللوائح التنظيمية فى البلاد العربية تكشف لنا بوضوح عن تمركز السلطة فى مؤسسات التعليم فى أيدى فئة محدودة جداً من القيادات الإدارية العليا ، الأمر الذى يترتب عليه فقدان المشاركة وعدم تفويض السلطة للحلقات الإدارية الوسطى والدنيا . وأن تمركز السلطة فى أيدى فئة محدودة والتفرد فى صناعة القرارات فى مؤسسات التعليم العالى فى البلاد العربية له انعكاسات سلبية على كفاءة هذه المؤسسات وفعاليتها وبالتالى على قدرتها فى تحقيق أهدافها والاضطلاع بمسؤولياتها .

٨) عدم التوازن فى الوظائف التى تضطلع بها مؤسسات التعليم العالى :

من المسلم به عالمياً أن الوظائف الرئيسية لمؤسسات التعليم العالى تكاد تنحصر فى مجالات ثلاثة هى :

- التدريس .
- البحث العلمى .
- خدمة المجتمع .

والملاحظ أن مؤسسات التعليم العالى فى بعض البلاد العربية تكاد تقتصر وظيفتها الأساسية على التدريس فقط فى حين أن هناك إهمالاً مخلاً فى الوظيفتين الأخريين وهما البحث العلمى وخدمة المجتمع . فضلا عن الإمكانات المادية الضئيلة التى تخصصها مؤسسات التعليم العالى فى البلاد العربية ضمن موازنتها لهاتين الوظيفتين .

وقد نتج عن ذلك ندرة البحوث العلمية التى تنتجها الجامعات العربية كل عام وقلة البرامج وأوجه النشاط التى تقدمها كل جامعة فى مجال خدمة المجتمع وتنمية ونتج عن ذلك أن أصبحت الجامعات مدارس تقليدية عن أن تكون مراكز إشعاع للمجتمع .

٩) إهمال معايير الكفاءة والاقتدار والتميز فى اختيار القيادات التربوية :

إن المعايير التى تستخدم فى مؤسسات التعليم العالى فى بعض البلاد العربية والمتعلقة باختيار وتعيين القيادات التربوية الإدارية

ليست بالضرورة معايير أكاديمية بحتة كما أنها ليست الكفاءة أو الاقتدار ولا التميز الإدارى والأكاديمى ، وإنما تتداخل فى ذلك للأسف فى كثير من البلدان مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والشخصية ، الأمر الذى يترك انعكاسات سلبية على معنويات العاملين فى مؤسسات التعليم العالى وإنتاجهم وعلى المناخ التنظيمى فى هذه المؤسسات بشكل عام .

١٠) الافتقار لأنظمة المتابعة والتقويم :

إن من مظاهر الخلل التى تعانى منها مؤسسات التعليم العالى فى البلاد العربية الافتقار لأنظمة المتابعة والتقويم التى يتم من خلالها الحكم على مدى فعالية وكفاءة هذه المؤسسات فى تحقيق الأهداف الموضوعية . والجدير بالذكر هنا أن افتقار هذه المؤسسات لأجهزة المتابعة والتقويم يحول دون توافر المعلومات والبيانات التى يمكن توظيفها لتقديم تغذية راجعة للأطراف المعنية بتطوير وتحديث مؤسسات التعليم العالى ، كما يحرمها من استخدام نظام للمساءلة والرقابة على هذه المؤسسات .

من التجارب العربية فى مجال التعليم الجامعى المفتوح :

لقد أصبح تجديد وتحديث أنظمة التعليم العالى فى البلاد العربية مطلباً ملحاً ، حيث تعددت المصادر التى تطالب بمراجعة جذرية وشاملة لهذه الأنظمة لكى تستطيع استيعاب الأعداد المتزايدة من الراغبين فى المزيد من فرص التعليم العالى من جهة وتوفير الكوادر المؤهلة والمدربة التى تتطلبها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد العربية من جهة أخرى .

والجدير بالذكر هنا أن الدراسات والبحوث التى أجرتها منظمة اليونسكو والمتعلقة بالتجديدات التربوية قد توصلت إلى نتيجة مؤداها أن أية تجديدات أو إصلاحات جزئية يتم إدخالها على أى نظام تربوى مجرد ترقيعات جزئية أو فقاعات تربوية سطحية لا تستطيع النفاذ إلى عمق هذا النظام أو جوهره ، وبالتالى فإنها تكون غير قادرة على إحداث التغيير المنشود فى صميم ذلك النظام . وأن مثل هذه النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات والبحوث إنما تقود إلى استنتاج هام وأساسى مؤداه أن أى برنامج للتجديد أو الإصلاح التربوى فى البلاد العربية لا يمكن أن تتحقق أهدافه بكفاية وفعالية ما لم يتم على أساس كلى وشامل ، بحيث يغطى جميع عناصر ومكونات النظام التربوى ، ويشمل جميع الأبعاد والمؤثرات على ذلك النظام ، وهذا الاتجاه فى شمولية الإصلاح التربوى جزء فى عملية إصلاح منسقة شاملة .

ويحتل التعليم العالى موقعاً استراتيجياً فى الأنظمة التربوية فى البلاد العربية ، فالتعليم العالى يقع على قمة الهرم التربوى فى أى بلد عربى ويحتل دوراً أساسياً فى أية مجهودات لإحداث تطويرات أو تجديدات فى الأنظمة التربوية العربية فى إطارها الكلى الشامل ، وأن هذه التطويرات والتجديدات لابد وأن تشمل قطاع التعليم العالى لما يتوافر فيه من إمكانات بشرية ومادية وفنية تؤهله لأن يلعب دوراً قيادياً فى إعاقة تشكيل الأنظمة التربوية العربية وربطها بجهود التنمية العربية .

كما برزت الحاجة لاستحداث صيغ وبدائل جديدة لمؤسسات التعليم التقليدية ، حيث أن مؤسسات أخرى يمكنها أن تساهم فى توسيع فرص التعليم العالى وتحقيق عدالة انتشاره من مثل مؤسسات التعليم عن بعد والتعليم بالمراسلة والتعليم عن طريق التلفزيون وأخيراً الجامعات المفتوحة .. وغير ذلك من الطرق التى تحتاج إلى تطوير بنى جديدة للتعليم العالى .

وتعانى دول الخليج العربية ـ كغيرها من الدول النامية ـ من مشكلات معقدة فى مجال التربية والتعليم وبخاصة فى ميادين التعليم العالى والتربية المستمرة وتخريج الكوادر المختصة والمؤهلة فى مجال محو الأمية والتعليم فى الريف والبادية والأماكن النائية

والتدريب أثناء الخدمة . وأن معالجة مثل هذه المشكلات والتصدى لمواجهتها يحتاج إلى مبالغ كبيرة جهود مكثفة ووقت طويل . ولا يمكن وضع حلول لهذه المشكلات من خلال أسلوب التعليم التقليدى ، الأمر الذى دعا إلى التفكير بإيجاد أنواع أخرى من الجامعات قد تستطيع القيام بدور فعال فى معالجة هذه المشكلات بأسلوب متميز عن تلك الأساليب التقليدية والنظم الجامعية المعمول بها . ومن ثم كانت أهمية اقتراح دراسة إمكانية قيام جامعة مفتوحة ، اقتداء بتجربة الدول المتقدمة التى أخذت بهذا النمط من التعليم الجامعى والتى قطعت شوطاً بعيداً فى إرساء التقاليد المستحدثة المحققة للهدف المطلوب ، إذ أن أنماط التعليم الجامعى المفتوح تتصف بالمرونة والحداثة والشمولية والقدرة على التغيير والتجريب .

والجدير بالذكر فى هذا المجال أن التجارب العربية فى مجال التعليم الجامعى المفتوح ما زالت تجارب محدودة إذ أنها لم تصل إلى المرحلة التى يمكن القول فيها بأن الدول العربية قد دخلت مرحلة الإرساء لهذا النوع من التعليم . وأن المحاولات الجارية الآن فى البلاد العربية فى معظمها هى فى طور الدراسات والمشروعات النظرية . ولا بد من التنويه هنا بأن بعض الجامعات العربية قد استخدمت بعض الاستراتيجيات المعتمدة فى أنظمة التعليم عن بعد من مثل نظام الانتساب فى جامعة بيروت العربية وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ونظام الدراسات الجامعية المسائية فى جامعة اليرموك

الأردنية ونظام الانتساب الموجه فى جامعة الإمارات العربية المتحدة يضاف إلى ذلك أن منظمة اليونسيف بالتعاون مع منظمة اليونسكو قد دعمت بعض البرامج لتدريب المعلمين أثناء الخدمة فى المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية وجمهورية السودان الديمقراطية ودولة البحرين ، واعتمدت فى هذه البرامج عدداً من الاستراتيجيات التى تستخدم فى أنظمة التعليم عن بعد ، ويمكننا تسجيل عدد من الملاحظات التى تم استخلاصها من خلال هذه التجارب :

١) أن هذه التجارب لا يمكن اعتبارها أنظمة للتعليم عن بعد بالمفهوم الذى تم استخدامه فى الدول التى اعتمدت أنظمة التعليم الجامعى المفتوح ، وبالتالى فإن هذه التجارب لا ينطبق عليها تعريف التعليم الجامعى المفتوح بمعناه الكلى الشامل والمستقل .

٢) أن هذه التجارب قد تم تبنيها من قبل أنظمة ومؤسسات التعليم الجامعى التقليدى وأنها بقيت على هامش هذه الأنظمة من الناحية الكمية والنوعية . وتولى الإشراف على هذه التجارب الكوادر الإدارية والفنية فى الجامعات والمؤسسات التربوية التقليدية نفسها واعتمدت فيها نفس البرامج والمناهج المعتمدة للطلبة المنتظمين .

٣) أن هــذه الــتجارب قــد كــونت انطــباعات ســلبية لــدى الطلــبة والمجــتمع ككــل بســبب هــبوط مستوى البرامج التى تقدمها وتدنى معاييــر الــنجاح والتخــرج مــن هــذه البرامج . يضاف إلى ذلك أن أجهــزة التوظــيف فــى الــبلاد العــربية تنظر بارتياب وحذر شديدين إلــى خريجــى هــذه البــرامج (الدراسة بالانتساب) ولا تعاملهم من حــيث الامتــيازات والكــادر الوظيفــى على قدم المساواة مع خريجى نفس البرامج المنتظمين فى الدراسة .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات السلبية المتعلقة بالتجارب العربية فى مجال التعليم الجامعى المفتوح إلا أن الاهتمام بهذا النمط من التعليم بدأ يتزايد فــى السنوات القليلة الماضية ويتجلى هذا الاهتمام من خلال حرص الجامعات التقلــيدية علــى إنشاء دوائر خاصة للتعليم المستمر وخدمة المجتمع تتولى تنظــيم وإدارة البرامج التدريبية لقطاعات اجتماعية مختلفة ، كما يتجلى هذا الاهــتمام مــن خلال الدراسات ومشروعات إنشاء جامعات مفتوحة فى البلاد العربية .

ومــن المشــروعات العــربية التــى قطعــت شوطاً فى مجال التعليم الجامعى المفتوح المشروعات الآتية :

١ ـ مشروع جامعة القدس المفتوحة :

نظــرة تاريخــية علــى هــذا المشــروع تبــين أنه فى عام ١٩٧٥ طلــب رئــيس الصــندوق القومــى الفلســطينى حيــنذاك إلــى مديــر عام اليونســكو دراســة جــدوى إنشــاء جامعة فلسطينية مفتوحة للمساهمة فى

تلبية الاحتياجات المتزايدة للشعب الفلسطينى ، كذلك طلب من الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى دعم هذه الدراسة . وفى عام ١٩٧٦ أعد فريق عمل مشكل من اليونسكو والصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى والصندوق القومى الفلسطينى دراسة تمهيدية لجدوى إنشاء جامعة فلسطينية مفتوحة . وقد أوصت هذه الدراسة التمهيدية بإجراء " دراسة جدوى " ، حددت للجامعة مهامها الرئيسية .

وبعد موافقة الجهات المختصة وقعت الأطراف الثلاثة على اتفاقية نصت على اعتبار اليونسكو الجهة المنفذة لدراسة الجدوى بتمويل مشترك من اليونسكو والصندوق العربى . ووفقاً لهذه الاتفاقية شكلت لجنة توجيهية من ممثلين عن الأطراف الثلاثة ، وفى أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ قدم مدير عام اليونسكو " دراسة الجدوى " إلى السيد رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أن الظروف حالت دون تنفيذ المشروع حتى سنة ١٩٨٥ ، حين بدأ العمل حثيثاً من جديد لتأسيس جامعة القدس المفتوحة بعد أن استكمل هذا المشروع دراسة الجدوى التى قامت بها لجنة من خبراء اليونسكو ، واقترحت هذه اللجنة قيام جامعة القدس المفتوحة وحددت أهدافها وهياكلها وبناها التنظيمية والإدارية ومحتوى برامجها ومناهجها وطرق التدريس فيها وتمويلها .

وجامعـــة القـــدس المفـــتوحة جامعـــة مـــتطورة للـــتعلم عـــن بعد ، تهـدف إلــى توفيــر الدراســات العليا والتدريب الفنى لأكبر عدد ممكن من أبــناء فلســطين والــبلاد العــربية ، مــراعية ظروفهم الخاصة واحتياجات مجــتمعاتهم ، الآنــية مــنها والمســتقبلية ، وفــى تعــاون وتكامــل مــع مؤسســات التعلــيم العالــى فــى الــوطن العربــى المحتمل وسائر الأقطار العــربية ، مســتفيدة فــى ذلــك كلــه مــن الــتقدم التقنــى فى وسائل نقل المعرفة .

ونظــرة فاحصــة علــى البــرامج الأكاديمــية فى الجامعة نرى أنها تأخذ فــى حســبانها الاحتــياجات الفعلــية للشعب الفلسطينى والعربى ، لذلك فقد تقرر أن تقــدم الجامعــة البــرامج التخصصــية التالــية ، وتــتخذ الإجــراءات اللازمة حالياً لإعداد الخطط والمناهج لهذه البرامج وهى :

أ- **التكنولوجيا والعلوم التطبيقية :**

تغطــى المســافات المعروضــة مــبادئ التكنولوجــيا العامــة والهندســة الإلكتــرونية (بمــا فــى ذلــك الحاســوب) ، بحــيث يــتم التركيــز على النواحى التطبيقية والتقنية والاقتصادية لموضوعات التخصص.

ب- **البيت والتنمية الأسرية :**

وتغطــى مســاراتها كــل مــا يــتعلق بشــؤون الأسرة والمنزل من علوم وفــنون ، تــربوياً واجتماعــياً واقتصــادياً وصحياً ، إضافة إلى المهارات والصناعات المنزلية المختلفة .

ج- **الأرض والمجتمع :**

وفي هذا المجال تغطي المسافات كل ما يتعلق بعلوم الأرض ومجتمع القرية من علوم زراعية ، وصناعات ريفية ، وشؤون تربوية واجتماعية ، ومهارات مختلفة .

د- **الإدارة والاقتصاد والمحاسبة والسكرتارية :**

ه- **التربية والتدريب أثناء الخدمة :**

كل ما من شأنه رفع مستوى التعليم وتحسين نوعيته .

و- **وبالإضافة إلى ذلك :** ستقدم الجامعة مناهج محورية أساسية Core Curricula تتناول التوعية الوطنية ، والحضارة العربية الإسلامية ، والثقافة العامة ، والتفكير المنهجي ، واللغة العربية واللغة الإنجليزية .

ومن بن أهداف جامعة القدس المفتوحة ما يأتي :

١) توفير الدراسة الجامعية لعشرات الألوف من الطلبة الفلسطينيين والعرب ، ويقدر العدد المرتقب للطلبة في بداية المرحلة بـ (٦٠,٠٠٠) طالبا ، كما يقدر أن يكون نصفهم متفرغ ، ولو توفرت الإمكانات المالية ، وتم استخدام القمر الصناعي العربي ، فإنه يمكن أن يرتفع عدد الطلبة فيها إلى أكثر من ذلك بكثير .

٢) إعداد الكوادر الفنية حسب احتياجات المجتمع ، وذلك من خلال تصميم برامج للدراسة المتوسطة تفى بمتطلبات إعداد الكوادر المهنية فى العمالة المنتجة .

٣) تطوير المجتمع تقنياً ، وذلك عن طريق التركيز على الدراسات والتخصصات العامة ، والتكنولوجيا ، مثل الحاسوب والفيديو والحقائب المخبرية ، بالإضافة إلى الإذاعتين المرئية والصوتية ، مما يساهم إلى حد كبير فى إحداث نهضة تكنولوجية فى المجتمع العربى ، تستفيد منها الأجيال الناشئة . وهذه النهضة التكنولوجية من أهم ما نحتاجه للحاق بالشعوب المتقدمة ، كما أنها ضرورية لإقامة صناعات تقنية متطورة .

٤) الإسهام فى تحقيق ديمقراطية التعليم الجامعى ، ذلك أن نهج " التعلُّم عن بعد " فى الجامعة المفتوحة قادر على إيصال التعليم الجامعى إلى مختلف الفئات ، بما فيها الفئات الأقل حظاً أو اقتصادياً أو ثقافياً .

٥) توفير البرامج التثقيفية التدريبية لقطاعات كبيرة من المواطنين ، وذلك من خلال تقديم برامج التربية المستمرة ، والتدريب أثناء الخدمة ، وإعادة التدريب ، بغض النظر عن السن والمستوى التعليمى والمستوى الاقتصادى .

٦) إفساح المجال للجامعات ومعاهد التعليم العالى وكليات المجتمع للاستفادة من المقررات الدراسية التى ستعدها الجامعة المفتوحة،

فالدراسة فى الجامعة المفتوحة تتطلب إعداداً خاصاً للمقررات الدراسية والمواد التعليمية ، مع ما يرافقها من تقنيات ووسائل وخبرات تمكن الطالب من التعلم البعدى . كل هذا مع توفير الحلقات الدراسية والمقررات المخبرية والتدريب الميدانى ، على أساس تعاونى مع الجامعات والعاهد العليا وسائر المؤسسات التربوية والمهنية فى الوطن المحتل والأقطار العربية الأخرى .

٧) الإسهام فى تخفيف هجرة العقول والكفاءات ، بل فى استقطابها من الخارج ، فالرغبة فى متابعة الدراسة الجامعية العليا وعدم توفر الفرص الكافية لذلك محلياً يجعلان كثيراً من الطلبة مضطرين للالتحاق بالجامعات الأجنبية ، ويفتح مجالا لعدم عودة نسبة معتبرة منهم إلى أوطانهم بعد تخرجهم .

٨) الإسهام فى توحيد المناهج التربوية والتعليمية ، وحتى اللغوية ، بالنسبة لأبناء الشعب الفلسطينى خصوصاً ، والناشئة العرب عموماً ، بما يسرع فى توحيد المفاهيم والأهداف ، وتحقيق الوحدة الثقافية العربية .

٩) دعم الصمود فى الوطن المحتل ، الذى يعد الهدف الأساسى للمشروع أصلا ، وذلك لأن إتاحة فرص التعليم الجامعى لأبناء الشعب الفلسطينى حيثما كانوا ، وفى فلسطين بالذات ، يساهم إلى

حد كبير جداً فى تثبيتهم فى وطنهم ورفع مستواهم وتأهيلهم لخدمة مجتمعهم العربى قضيتهم الكبرى ، وعدم ذوبانهم أو انهيارهم أما الغزوة الصهيونية والاحتلال الإسرائيلى .

٢ ـ مشروع جامعة السودان المفتوحة :

تعتزم السودان إنشاء جامعة مفتوحة لا زالت فى طور الدراسات المبدئية ، وقد تقرر فى هذا الصدد عقد ندوة علمية فى أواخر عام ١٩٨٧م فى السودان لمناقشة هذا الموضوع وإثراء دراسة الجدوى التى يجرى إعدادها حالياً عن مشروع تلك الجامعة المفتوحة المقدمة .

٣ ـ مشروع الجامعة المفتوحة فى جمهورية مصر العربية :

تقرر إنشاء جامعة مفتوحة فى جمهورية مصر العربية لقبول الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة فى أقسامها المختلفة وذلك لتخريج أعداد كبيرة من الإخصائيين الفنيين الذين تدعوا الحاجة إليهم. وتهدف الجامعة المفتوحة فى جمهورية مصر العربية من بين ما تهدف إليه إلى عدم إرهاق أولياء الأمور بإلحاق أبنائهم بالجامعات الخارجية ورفع المعاناة عنهم وتهدف كذلك إلى تخفيف الضغط على الجامعات القائمة حالياً . وتعمل اللجان حالياً لكى تمارس الجامعة عملها قريباً ، ومن برامج هذه الجامعة المقترحة ما يأتى :

أ- قناة تلفزيونية لشرح المقررات الدراسية أو تخصيص ساعات محددة لهذه المقررات على غرار البرامج التعليمية .

ب- تسجيل المناهج على أشرطة كاسيت .

ج- توزيع مذكرات على الطلاب .

د- تخصيص يومين أسبوعياً فى مراكز الشباب للمناقشة وإجراء الحوار مع الطلبة الملتحقين بهذه الجامعة .

ه- إعداد مراكز لامتحان هؤلاء الطلاب .

٤ ـ الجامعة العربية المفتوحة :

يقوم على هذه الجامعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد شكلت المنظمة العربية (اليونسكو) عدداً من اللجان المختصة لوضع دراسة الجدوى اللازمة لهذه الجامعة وعقدت الاجتماعات الموسعة لهذا العمل كان أولها اجتماع لدراسة جدوى تأسيس جامعة عربية مفتوحة فى عمان فى نوفمبر ١٩٧٩م . ولا يزال هذا الموضوع موضع دراسة ونظر من المعنيين إذ تكتنفه صعوبات كثيرة هى مشاكل العرب أنفسهم وفى حالة توفر الدعم المالى لهذا المشروع فإننا نعتقد أنه سيؤدى خدمات جليلة لهذه الأمة.

٥ ـ جامعة أصيلا المفتوحة :

وضعت دراسات إنشاء هذه الجامعة بالتعاون بين أسبانيا والمغرب وشكلت لها لجان متخصصة وكان من المفروض أن تمارس

هـذه الجامعـة عملهـا فـى أواخـر عام ١٩٨٦م ، ولا زالت تنتظر البدء بعد استكمال جميع الدراسات اللازمة .

وتخـتلف هـذه الـتجارب فـى بعـض جوانبها ولكنها فى جوهرها نمـط جديـد للـتعلم الذاتـى والـتعلم عـن بعد وكلها مشروعات فى طور الإنشـاء لـم تنضـج بعـد وستسـتغرق وقـتاً طـويلاً حتى تؤتى ثمارها المرجوة .

ونخلص من هـذه الـتجارب بـأن مشاكل التعليم العالى المفتوح فى الدول العربية ومعوقاتها كثيرة منها :

١) توفير الكوادر الإدارية المؤهلة :

أن إدارة أنظمـة التعلـيم الجامعـى المفـتوح تخـتلف اختلافاً جوهرياً عـن إدارة الجامعـات التقلـيدية ، وأن الكـوادر الإدارية التى يتم اختيارها لإدارة الجامعـات المفـتوحة لابـد وأن تتمـتع بكفـاءات إداريـة وقيادية خاصـة مـنها المـرونة والقـدرة علـى حل المشكلات والجرأة فى صناعة القـرارات والتكـيف فـى مـواجهة التغيير والمواقف الجديدة . كما يتوجب أن تتمـتع هـذه الإدارات بالـروح الجماعـية وتقـبل المشـاركة والـنقد الذاتـى وتفـويض السـلطة .. إلـخ ، فضـلا عن أية خصائص تتصف بها القـيادة الإداريـة الـناجحة وأهـم مـن ذلـك كله التأهيل النفسى والإيمان بفائـدة هـذا الـنمط مـن التعليم والقدرة على مواءمة المناهج والمقررات لحاجات ومتطلبات المجتمع المتطورة .

٢) **توفير الكوادر التدريسية المؤهلة :**

إن نظـام التعلـيم الجامعـى المفـتوح بحكـم فلسـفته وخصائصـه وأهدافـه بحاجـة إلـى كـوادر ذات مـؤهلات خاصة وكفايات معينة ، وأن طبـيعة نظـام التعلـيم الجامعـى المفـتوح واعتماده الأساسى على وسائل الاتصـال والتكنولوجـيا المـتطورة تسـتلزم اختـيار وتعيين أعضاء هيئة الـتدريس ممـن يمـتلكون القـدرة على إعداد المادة العلمية التى يتم نقلها عـن بعـد للدارسـين ويمـتلكون الخبـرة فـى مجـال توظيف واستخدام التقنيات الحديثة التى تستخدم وسائط لنقل هذه المادة العلمية .

٣) **الضغوط الاجتماعية :**

وهـى ضـغوط قـد تنشـأ ممـن تـتعارض مصـالحهم الخاصة مع مصـالح عمـوم الأمـة العريضـة ، وممـن يعـتقدون أن التعليم الجامعى يجـب أن يكـون مقصـوراً علـى الصـفوة أو النخبة أو أن تغلق الجامعة أبـوابها أمـام الطلـبة الـذين لا تتهيأ لهم فرص القبول أو لا يتمكنون من التفرغ للدراسة .

٤) **ضغوط الأوساط الأكاديمية فى الجامعات التقليدية :** ممـن يشـعرون إمـا بـتهديد مصـالحهم الشخصـية ومكاسـبهم الوظيفـية إذا مـا تم اسـتحداث مؤسسـات للتعلـيم العالـى منافسة للمؤسسات التى يعملون فـيها . وإمـا بالتشـدد فـى المعارضـة مـن عناصـر أخرى لأنظمة التعلـيم الجامعـى المفـتوح بحجـج الحرص على المستوى الأكاديمى

للجامعة وتدني المعايير التي تعتمد للخرجين في الجامعات المفتوحة وحماية المجتمع من مخرجات هذه الجامعة التي تتصف – حسب وجهة نظرهم – بتدني مستواها الأكاديمي .
ويدخل ضمن هذه الضغوط الرفض التلقائي والمقاومة الطبيعية لكل تجديد .

٥) **المشكلات المالية :**

تواجه المشروعات الجديدة للتعليم الجامعي المفتوح في الدول العربية بصفة خاصة مشكلات مالية عديدة تجعل الدراسات والمشروعات حبيسة الأدراج لسنوات طويلة قد تزيد عن عقد أو عقدين وقد تطول أكثر من ذلك .

٦) **صعوبة تحديد احتياجات المجتمع المستقبلية** : حتى تبنى عليها الموضوعات التي ينبغي البدء بها في التدريس الجامعي المفتوح.

٧) **القضاء على الرتابة والتكرار :**

وهذا يتطلب الاستفادة من تجارب الغير مع الأقلمة وفق احتياجات وإمكانيات كل مجتمع .

٨) **وسائط نقل العلم :**

وهذه الوسائط معظمها مستوردة وينبغي التفكير في استنباط بعض الوسائط المحلية وتطويرها بصفة مستمرة بما يضمن تطوير

البــرامج والدراســات ، فالــبث التلفزيونـــى والإذاعـــى وأشــرطة الفيديو والكاســيت والحاســب الآلـــى والأقمـــار الصـــناعية والمؤتمـــرات الهاتفية ليســت نهايـــة المطـــاف ، ولكنـــنا نســـمع كل حين وآخر عن وسيلة جديدة مـــن تلـــك الوســـائل التـــى يكون علينا أن نستوردها ومن ثم تستمر التبعية التـــى تـــناقض أهـــداف التعلـــيم الجامعـــى المفتوح ومنها القضاء على هذه المشكلة كذلك .

٩) مشكلة اللغة :

ينبغـــى أن تكـــون ينبغـــى أن تكـــون الدراســـة باللغة العربية فى أى حصـــة عـــربية مفـــتوحة وإلا فقـــدت ســـمة مـــن ســـمات نجاحها ومقوم أساســـى مـــن مقـــومات قـــيامها وانـــتمائها . ومما يؤسف له أنه لا يوجد فـــى الـــوقت الحاضـــر وفـــاق عربـــى مـــوحد حـــول تعـــريب كثيـــر مـــن المصـــطلحات الأجنبـــية وخاصـــة فـــى مجالـــى العلوم والتقنية وليس هناك مـــن جهـــة، عـــربية واحـــدة تملـــك ســـلطة القرار العلمى أو السياسى فى ذلك .

ثانيا : من التجارب العالمية
فى مجال التعليم الجامعى المفتوح

يعتبر التعليم الجامعى المفتوح من أبرز مظاهر التطور والتجديد التربوى الذى بدأت ملامحه تتبلور فى العديد من الدول المتقدمة وبعض الدول النامية خلال العقدين الماضيين .

ولقد أخذ هذا النمط من التعليم الجامعى يفرض وجوده فى الأوساط التربوية كونه أحد أهم البدائل الفعالة القادرة على توفير المزيد من الفرص التعليمية لقطاعات كبيرة لم يحالفها الحظ – لسبب أو لآخر – من الانتفاع من الفرص المتاحة فى مؤسسات التعليم الجامعى النظامية .

لقد برزت الحاجة إلى مثل هذا النمط من التعليم الجامعى بشكل أعمق فى الدول النامية نظراً للطلب الاجتماعى المتزايد على التعليم الجامعى للاستجابة لمتطلبات خطط التنمية والحاجة الماسة إلى العمالة المؤهلة بالإضافة إلى شح الموارد المادية والبشرية التى تتطلبها عادة إنشاء مؤسسات التعليم الجامعى النظامية .

وعلـى الـرغم مـن أنــه لـم يمـض علـى إنشـاء أول جامعـةُ مفـتوحة (الجامعـة البـريطانية المفـتوحة) سـوى مـدة زمنـية قصـيرة نسـبياً ، إلا أن هـذه الجامعـة قـد ألهمـت العديـد مـن الدول حـيث بـادرت فـى إنشـاء جامعـات مفـتوحة علـى مـنوالها حتـى أصـبح عـدد هـذه الجامعـات فـى العـالم قـرابة العشـرين جامعـة مفـتوحة . ولقـد اسـتطاع هـذا الـنمط مـن التعلـيم الجامعـى المفـتوح أن يحقـق شـهرة واسـعة فـى أوسـاط التعلـيم العالـى بـديلاً متميـزا يحمـل بـين جنـباته الـوعد والأمـل ؛ لـيس من خلال قدرتـه علـى توفيـر المـزيد مـن الفـرص التعليمـية لمـن فـاتهم قطـار التعلـيم الجامعـى فحسـب ، بـل مـن خـلال قـدرة هـذا النظام علـى إعـادة صـياغة فلسـفة وأهـداف التعلـيم الجامعـى وبالتالـى تجديـد هـياكله وبـناه ومضـامينه والاسـتراتيجيات المعـتمدة فـيه . ولقـد أدرك عـدد مـن الـدول المـتقدمة والنامـية هـذه الحقـيقة فسـارعت تلـك الـدول إلـى تبنـى نظـام التعلـيم الجامعـى المفـتوح ووجـدن فـيه العـلاج للعديـد مـن المشـكلات والمعضـلات التـى تواجه نظام التعليم الجامعى النظامى .

ومن أبرز الدول التى أنشأت جامعات مفتوحة هى

م	الدولة	تاريخ إنشاء الجامعة المفتوحة
١	المملكة المتحدة	١٩٦٩
٢	أسبانيـــــــا	١٩٧٢
٣	إيــــــران	١٩٧٣
٤	ألمانيا الغربية	١٩٧٤
٥	باكستــــــان	١٩٧٤
٦	كنــــــدا	١٩٧٥
٧	فنزويـــــلا	١٩٧٧
٨	كوستاريـــكا	١٩٧٧
٩	تايلانـــــد	١٩٧٨
١٠	الصيـــــن	١٩٧٨
١١	سريلانــــكا	١٩٨١
١٢	هولنـــــدا	١٩٨١
١٣	اليابان	١٩٨١
١٤	الهند	١٩٨٢
١٥	نيجيريا	١٩٨٣

وقــد لــوحظ عــند تقــويم جامعات التعليم عن بعد أن هذه الجامعات لهـــا وجـــود متميـــز وتشـــكل مراكز ومؤسسات تربوية وتعليمية مستقبلية هامـــة وتســـتطيع بمـــا يتوافـــر لهـــا مـــن إمكانات أن تزود منتسبيها بكل المهـــارات والتدريـــبات اللازمـــة والقـــادرة علـــى تخـــريج العمالة المؤهلة

تأهيلاً عالياً . وقد وضع قسم من هذه الجامعات المناهج والبرامج الدراسية بما يتناسب واحتياجات التنمية الاجتماعية ، وتطورت نظم البعض الآخر بما يؤمن احتياجات المواطنين فى مختلف حقول التدريب والمعرفة .

وسوف أقدم فى هذا الجزء من الملف ثلاث تجارب متميزة من التجارب العالمية فى مجال التعليم الجامعى المفتوح هى الجامعة البريطانية المفتوحة وجامعة تايلاند المفتوحة وجامعة إقبال المفتوحة بباكستان :

(أ) التجربة الأولى : هى تجربة الجامعة البريطانية المفتوحة :

هذه التجربة تمثل اقدم تجربة عالمية فى مجال التعليم الجامعى المفتوح ، وعلى الرغم من مرور أكثر من (١٥) سنة على إنشاء الجامعة البريطانية المفتوحة ، إلا أنها ما زالت مصدر الإلهام الأساسى للعديد ن التجارب العالمية فى هذا المجال .

وكان ميلاد هذه الجامعة الحقيقى هو نفس خطاب السيد هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق فى سبتمبر ١٩٦٣ مدعما بالعوامل التاريخية والاجتماعية والتربوية والسياسية التى أسهمت وبلورت هذه الفكرة وتحقيقها وبخاصة بعد أن استقر المجتمع البريطانى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وهذه العوامل هى :

أ- تعليم الكبار من حيث أهدافه برامجه ومؤسساته :

إن فلسفة وأهداف تعليم الكبار في بريطانيا كانت ولا زالت تتمركز حول المفهوم الليبرالي لتعليم الكبار والمتضمن في ثلاث وثائق هامة هي تقرير ١٩١٩ والذي أنشأت على ضوء توجيهاته معاهد الدراسات الإضافية والإرشاد الجامعي بالجامعات البريطانية ، وورقة عام ١٩٣٠ والتي تم على ضوئها قيام اتحاد تعليم العمال البريطاني وإنشاء المؤسسات المرتبطة به ونظام عام ١٩٤٤ الذي قنن مسؤولية المجالس المحلية في المحافظات في إعداد برامج التدريب المهني للشباب وتعميم التعليم الثانوي وإلزاميته وذلك من خلال إنشاء كليات ومعاهد التعليم الإضافي على نطاق المملكة المتحدة بإتاحتها فرص التعليم للكبار في شتى المجالات في إطار المضمون الليبرالي لتعليم الكبار بأبعاده المختلفة وبطرائقه ووسائله التقليدية التي لازمت برامج هذه المؤسسات وطبيعتها إلى أن جاء تقرير لجنة اللورد رسل في عام ١٩٧٣ وأعاد صياغة أهداف ومحتوى ووسائل مؤسسات تعليم الكبار في بريطانيا لتلائم طبيعة العصر ولتواكب التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع البريطاني .

بـ التوسع فى خدمات الراديو والتليفزيون التعليمية وتطور تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيرى .

بدأ اهتمام هيئة الإذاعة البريطانية بالتوسع فى البرامج الإذاعية الموجهة لفئات الكبار فى عام ١٩٢٧ عندما أنشأت إدارة خاصة ببرامج تعليم الكبار بالتضامن مع إدارة تعليم الكبار بوزارة التربية . وخصصت قناة خاصة لبث برامج تعليم الكبار ، وقد أدى الإقبال المتزايد على هذه البرامج خاصة بعد ولوج التلفزيون التعليمى هذا المجال والتوسع الذى طرأ على ساعات الإرسال فى البرامج الموجهة لفئات الكبار وتنوعه هذه البرامج وتعدد مناهجها إلى إنشاء أجهزة متطورة للإشراف والمتابعة استقطبت مجلس الجامعات لتعليم الكبار لبريطانيا واتحاد المشاهدين والمستمعين واتحاد تعليم العمال البريطانى وكثير من الفئات الاجتماعية والسياسية ذات الاهتمام بالتخطيط والنمو التربوى .

وترتب على ذلك برز مشروع الجامعة المفتوحة رسمياً وكونت لجنة للتخطيط للمشروع تمخضت أعمالا عن إقرار قانون الجامعة المفتوحة فى يوليو (تموز) ١٩٦٩ .

جـ نمو الوعى السياسى بديقراطية التعليم العالى وتحقيق مبدأ المساواة فيه .

لقد أدت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى أعقبت الحرب العالمية الثانية فى بريطانيا إلى ارتفاع مستويات الحياة ونمو الوعى

السياسى للطبقة العاملة وزيادة إحساسها بتحسين أحوالها ثقافيا واجتماعياً فرفعت شعارات ديمقراطية التعليم وتوسيع فرصة خاصة فى مجالات التعليم العالى .

ولعله من المناسب هنا الإشارة إلى أن شعار " التربية للتوافق مع الحياة " الذى ساد بريطانيا وأغلب البلدان الأوروبية وأمريكا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية والذى كان يهدف إلى توجيه محتوى التربية للاهتمام بنمو الاتجاهات والقيم الاجتماعية الجديدة من أجل المواطنة الصالحة كان السبب الأساسى وراء ضرورة الاهتمام بالتعليم المستمر المتواصل مدى الحياة كهدف أساسى من أهداف الفلسفة التربوية .

هذه العوامل مجتمعة أوجدت المناخ السياسى والاجتماعى والتربوى لقيام الجامعة المفتوحة وإلى إعلان تشريعاتها فى عام ١٩٦٩ وبداية الدراسة فيها فى عام ١٩٧١ .

٢ ــ الهيكل الإدارى والتنظيمى للجامعة المفتوحة :

رغم أن طبيعة الجامعة المفتوحة فى بريطانيا من حيث أهدافها وبرامجها ووسائلها ونوعية طلابها ، وتختلف كثيرا عن النمط التقليدى للجامعات البريطانية إلا أنها من حيث هيكلها الإدارى والتنظيمى والأجهزة التى تصيغ سياستها الأكاديمية والإدارية لا تختلف .

فلقــد نصــت الوثــيقة الملكــية لإنشــاء الجامعــة المفــتوحة على نوعــية الأجهــزة واللجــان العلمــية والإدارية للجامعة وحددتها فى مجلس الجامعــة ومجلــس الأســاتذة ولجــنة الشــؤون المالــية ولجــنة الشؤون الأكاديمــية كمــا نصــت علــى إنشــاء ثلاثــة مناصب فخرية تشمل راعى الجامعــة ونائــبه وأمــين المــال الفخــرى للجامعــة ، كمــا أكــدت المادة الثامــنة مــن الوثــيقة الملكــية علــى تعيين مدير للجامعة بمثابة المسؤول الأكاديمــى والإدارى لكــل مؤسســات الجامعــة ومســؤول أمــام مجلــس الجامعــة ومجلــس الأســاتذة عــن تنفيذ سياسة الجامعة على أن يكون له خمــس نــواب فــى المجــالس الأكاديمــية والإدارية والمالية المختلفة على أن يتولــى أمــين الجامعــة مســؤولية الإشــراف الإدارة علــى مؤسسات الجامعة .

كمــا يشــمل التنظــيم الإدارى للجامعــة ستة عمداء لكليات الجامعة الســت ، ومديــرين للدراســات ومشــرفين أكاديميــين للفروع بالمحافظات المختلفة .

ويتضــح مــن ذلــك أن الهــيكل الإدارى والتنظيمــى للجامعــة المفــتوحة يضــم العديــد مــن اللجــان والهيئات والأفراد ذوى الصلاحيات والاختصاصــات المخــتلفة والمتشــابكة ، ولكــن نظــام الجامعة ولوائحها الداخلــية وأســس تكويــنها المضــمنة فــى الوثيقة الملكية حددت دور كل جهة واختصاصاتها فى هذه المؤسسة التربوية الكبيرة .

٣ ـ مقررات الجامعة المفتوحة ونظام الدراسة فيها :

الدراسة فى الجامعة المفتوحة متاحة لكل المقيمين فى المملكة المتحدة على أن يكونوا قد بلغوا من العمر واحداً وعشرين عاما فما فوق . وليست هناك شروط أكاديمية للتسجيل والقبول بالجامعة ، بمعنى أنه لا يشترط للقبول بالجامعة إكمال الدراسة الثانوية العليا بنجاح أو حتى دخولها . وتمنح الجامعة طلابها عند إكمال الدراسة بنجاح أجازة جامعية فى الآداب بدرجة الشرف . ومدة الدراسة للوحدة الدراسية الواحدة عشرة شهور تبدأ من نهاية يناير من كل عام وتنتهى فى نوفمبر من نفس العام ، وبما أن الوحدة الدراسية الواحدة محسوبة على أساس اثنين وثلاثين وحدة أسبوعية ، تتطلب كل منها ١٠ إلى ١٤ ساعة عمل فى الأسبوع فالمتوقع أن يحتاج الطالب المسجل بالجامعة المفتوحة إلى ستة أعوام للحصول على الإجازة الجامعية العامة وثمانية للحصول عليها بدرجة الشرف ولكن اللائحة تبيح التخرج فى ثلاثة أعوام كحد أدنى إذا استطاع الطالب أن يجتاز وحدتين دراسيتين فى العام وفى حالة الطلاب الذين سبق لهم أن اجتازوا بنجاح بعض سنوات الدراسة فى جامعات أخرى ، فإن لائحة الجامعة المفتوحة تعفيهم من ثلاث وحدات دراسية فقط بالجامعة المفتوحة ثم يمنحوا درجة جامعية من الجامعة المفتوحة .

وعادة يبدأ كل الطلاب الدراسة بالمستوى الأساسى فى خمس كليات هى كليات الآداب والعلوم الاجتماعية والرياضيات والعلوم

وكليـة التكنولوجـيا أم فـى الكلـية السادسة وهى كلية الدراسات التربوية فتـبدأ الدراسـة مـن المسـتوى الثانـى وبعـد اجتياز المستوى الأساسى بـنجاح يتـرك الخـيار للطـلاب للتسجيل فى المقررات التى يختارونها من بـين فـرص الاختـيار الواسـعة التـى تتيحها الجامعة وعلى سبيل المثال كـان عـدد المقـررات التـى يمكـن للطالب أن يختار منها فى عام ١٩٧٩ مائـة مقـرر ويمكـن للطالـب أن يجمـع بـين مقررات من الكليات الست دون التقـيد بـنظام معـين وبعـض هـذه المقـررات يشكل وحدة دراسية كاملة وبعضها يشكل نصف وحدة دراسية .

٤ ـ طرق ووسائل التدريس وإعداد المواد العلمية بالجامعة المفتوحة .

رغـم أن الفكـرة الأساسـية فـى السنوات التى سبقت قيام الجامعة علـى الإذاعـة والتلفـزيون كلـيا فـى تـدريس طلابهـا إلا أنـه بعد قيام الجامعـة أصـبح مـن الضـرورى أن تستقبل الجامعة كل الوسائل المتاحة فى مجال التعليم على البعد بالإضافة إلى وسيلتى الإذاعة والتلفزيون.

وهـناك جهـاز مـتكامل مـن فنيـين وإداريـين وخـدمات معاونة مهمـته إعـداد هـذه المـواد وإيصـالها للطلاب فى تواريخ محددة وحسب نظام مدروس يلعب الحاسب الآلى دورا رئيسيا فيه .

ومـن أهـم الوسـائل المتـبعة فـى الجامعـة المفتوحة إلى المادة المكـتوبة وبـرامج الإذاعـة والتليفـزيون أسـلوب الإشراف المباشر على الطـلاب وفـى هـذا المجـال تقـوم إدارة الجامعـة بتعيـين أسـاتذة غير

متفــرغين مـــن بـــين أســـاتذة فى الجامعات الأخرى ويشرف كل أستاذ غير متفــرغ إشـــرافا مباشـــرا علـــى عـــدد يتـــراوح بين اثنى وعشرين طالبا . وبالإضـــافة إلـــى الأســـاتذة غيـــر المتفـــرغين تعين الجامعة أستاذ إرشادى لكـــل طالـــب يســـاعده فـــى اختـــيار الـــوحدات الدراسية التى تلائم إمكاناته العلمية ويبقى مشرفا عليه خلال سنوات دراسته بالجامعة المفتوحة

وتعتبـــر الواجـــبات مـــن أهـــم أجـــزاء الـــنظام الدراسى فى الجامعة المفـــتوحة وهـــناك نـــوعان مـــن الواجـــبات أحـــدهما يقـــوم بتصـــميمه وتصـــحيحه الأســـاتذة والآخـــر مبـــرمج ويقـــوم بإعـــداده وتصحيحه العقل الإلكترونـــى برئاســـة الجامعـــة . ويقـــوم جهـــاز العمليات بإعادة الواجبات المصـــححة إلـــى الطـــلاب خـــلال أســـبوعين أو ثلاثة من استلامها وعليها تعلـــيقات الأســـاتذة فـــى الحالـــة الأولـــى وإجابـــات نموذجـــية فـــى الحالة الثانـــية. ويقـــوم كـــل طالـــب فـــى نهايـــة كـــل مقرر دراسة بأداء امتحان كتابـــى مدتـــه ثلاثـــة ســـاعات ونظـــام مثل هذه الامتحانات عادة فى نهاية أكتوبـــر وبدايـــة نوفمبـــر مـــن كـــل عـــام وتحـــدد نتـــيجة هذه الامتحانات بالإضـــافة إلـــى الواجـــبات الأخـــرى نتيجة الامتحان النهائى للطالب ومدى حصوله بنجاح على وحدة دراسية أم لا .

هـــذا وتعـــرض نـــتائج هـــذه الامتحانات على ممتحنين خارجيين من جامعـــات أخـــرى لإجازتهـــا اعـــتمادها حســـب ا لـــنظام المتـــبع فى سائر الجامعات البريطانية .

٥ ــ الدراسات العليا والبحث العلمى بالجامعة المفتوحة .

إن الباحث العلمى فى مجالات المعرفة المختلفة جزء لا يتجزأ من رسالة الجامعات سواء من خلال البحوث التى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أم من خلال الدراسات العلمية التى يؤديها طلاب الدراسات العليا بإشراف أساتذتهم .

وقد حاولت إدارة الجامعة المفتوحة ببريطانيا أن تطرق هذا المجال وذلك بإنشائها مجالس للبحث العلمى فى كلياتها الست إلا أن طبيعة المناخ الأكاديمى فى هذه الجامعة أدى إلى تعثرها فى البداية وذلك لعدم وجود المعاهد العلمية المكتملة المتوافرة لدى الجامعات الأخرى وكذلك عدم وجود المكتبة المؤهلة لمثل هذه الأغراض العلمية إذ أن الجامعة المفتوحة بحكم تكوينها وطبيعة الدراسة فيها والطرق والوسائل التعليمية التى تتبعها لا تتوافر لها هذه الميزات فكان لابد لهذه الجامعة من أن تبتكر أساليب جديدة ومتطورة لطرق هذه المجالات .

وقد ابتكرت ثلاث أساليب جديدة هى :

الأسلوب الأولى :

قيام الجامعة بتأجير معامل لأساتذتها من الجامعات الأخرى بحيث تهيئ لهم تلك الجامعات كل الإمكانات العلمية والوسائل التى تساعدهم على تنمية بحوثهم العلمية .

الأسلوب الثانى :

تعيين لجان لكل فرع من فروع الجامعة العلمية تعمل تحت إشراف رئيس الفرع وتتفرغ تفرغاً كاملا لإعداد البحوث التى يتطلبها تطوير المادة فى ذلك الفرع .

الأسلوب الثالث :

تخصيص منح دراسية لأساتذتها تمكنهم من التفرغ لأداء بحوثهم لمدد زمنية محددة مع العمل على توسيع مكتبة الجامعة بشتى الوسائل .

أما فى مجال الدراسات العليا فقد ابتكرت الجامعة ما يعرف بنظام الوحدات الدراسية البحثية وحددت الحد الأدنى لنيل درجة الماجستير بالنجاح فى ثلاثة وحدات بحثية بع نيل الدرجة الجامعية ، ولدرجة الدكتوراه بالنجاح فى ستة وحدات دراسية بحثية بعد نيل الدرجة بنجاح .

٦ ـ مركز الدراسات والتعاون الدولى بالجامعة المفتوحة :

بعد نجاح مشروع وحدة الخدمات الاستشارية بالجامعة المنشأة فى عام ١٩٧٤ والذى كان يقدم الاستشارات الفنية فى مجالات التعليم عن بعد على المستوى الجامعى لعدد كبير من الدول والجامعات خارج المملكة المتحدة ـ قامت الجامعة بإنشاء مركز الدراسات والتعاون

الدولــى لــيقوم بــتقديم الاستشــارات العلمــية والفنــية فى مجالات التعليم علــى الــبعد وللتنســيق بــين إدارة الجامعــات والمعاهد الأخرى التى تعمل عن طريق التعليم بالمراسلة فى كثير ن البلدان .

ويمكن تحديد الاتجاهات التى يعمل فى إطارها هذا المركز فى ثلاثة محاور :

المحور الأول : الخدمات الاستشارية :

وفــى هــذا المجــال يقــوم المركــز بإعــداد دراســات الجــدوى والدراســات الفنــية الأخــرى للــدول التــى تــتعاقد مع الجامعة المفتوحة بتنفيذ مشاريع متخصصة ومحددة فى مجالات التعليم عن بعد .

ويقــوم المركــز أيضــا بإمــداد هذه الدول بالكوادر البشرية المؤهلة والمدربــة مــن بــين أعضــاء هيــئة الــتدريس بالجامعة ومن خارجها . وتقتصــر هــذه الخــدمات فــى العــادة علــى المجالات الدراسية الجامعية العاديــة ولا تتــناول الدراســات العلــيا والمجــالات الأخــرى التى تطرقها الجامعات .

المحور الثانى : محور الدراسات :

يشــمل بــرنامج المعهــد المركــز مقــررات وورش عمل فى بعض مجــالات التعلــيم علــى الــبعد ومــدة الدراســة فــى هذه المقررات أربعة أســابيع وهــى مــوجهة إلــى متخصصــين وعاملين فى مجال التعليم على الــبعد والمقــررات التــى تقــدم فــى الــوقت الحاضــر هى : تخطيط نظم

التعليم على البعد ، تصميم المناهج للتعليم على البعد ، الجامعة المفتوحة البريطانية ، طرق إعداد مواد التعليم الذاتى ، طرق إعداد الخدمات الفنية المساعدة للتعليم على البعد ، تنظيم وإدارة الدراسة على البعد .

المحور الثالث : الإعلام والتوثيق والتبادل :

فى هذا المجال أنشأ المركز قاعدة للمعلومات مزودة بكل المواد العلمية والوسائل التقنية والوسائل السمعية والبصرية والفهارس المرجعية كما قام المركز بإنشاء وحدة توثيق تقوم بتوثيق تجربة الجامعة المفتوحة فى التعليم على البعد وكذلك تجارب المراكز الأخرى .

كما يقوم المركز فى هذا المجال بإعداد برامج واسعة لتنمية تبادل الخبرات والمعارف والمواد بين الجامعة المفتوحة والجامعات والمعاهد النظامية .

ومن خلال هذه المحاور الثلاثة استطاعت الجامعة أن تربط نفسها عضويا ووظيفيا بمؤسسات التعليم على البعد فى كثير من بلدان العالم وأن تقدم تجربتها الواسعة والزائدة فى التعليم الجامعى بأسلوب مدروس ومبتكر .

٨ ـ تمويل الجامعة المفتوحة :

يتم تمويل الجامعة المفتوحة بمنحة مباشرة من وزارة التربية ببريطانيا بينما يتم تمويل الجامعات البريطانية عن طريق لجنة المنح الجامعية . وتقوم وزارة التربية بتغطية ٨٩ % من مجموع موازنة الجامعة بينما تغطى رسوم تسجيل الطلاب ٩ % من مجمل الموازنة وتسويق المواد والخدمات الاستشارية يغطى ٢ % من مجمل الموازنة . وقد ارتفعت نسبة التمويل فى السنوات العشرة الأخيرة ارتفاعا ملحوظا بسبب الزيادة فى عدد الطلاب والتوسع فى الخدمات الأخرى التى تقوم بها الجامعة .

ويستهلك إنتاج البرامج التلفزيونية والإذاعية قدرا كبيرا من الموازنات المذكورة أو تقوم هيئة الإذاعة البريطانية بإنتاج (٣٠٠) برنامج تلفزيونى و (٣٠٠) برنامج إذاعى بالتعاون مع الجامعة المفتوحة كما يقضى الاتفاق المبرم بين الهيئة والجامعة أن تقوم هيئة الإذاعة البريطانية بإرسال (٢٦) ساعة إذاعية و (٣٥) ساعة تلفزيونية موجهة خصيصا لطلاب الجامعة المفتوحة فى تخصصاتهم المختلفة وعلى سبيل المثال بلغ مجمل ما تقاضته هيئة الإذاعة البريطانية من الجامعة المفتوحة فى عام ١٩٧٧ ما يعادل ٤,١ مليون جنيه إسترلينى أى ما يعادل سدس ميزانية الجامعة فى ذلك العام .

وق أثبتت الإحصاءات أن كلفة الطالب فى الجامعة المفتوحة أقل بكثير من كلفة الطالب فى الجامعات التقليدية إذ أن الأخيرة تنفق كثيرا من مواردها على المعامل وقاعات المحاضرات وإقامة الطلاب وإسكانهم بينما لا تحتاج الطامعة المفتوحة إلى مل هذا النوع من الخدمات إذ أن الوحدات الدراسية تعد وتجهز وتبرمج مركزيا وتبعث للطلاب عن طريق خدمات بريدية منظمة .

ولقد اعترض طريق افتتاح الجامعة المفتوحة عدة صعوبات من أبرزها ما يأتى :

١) الشك والعداء من المواطنين .
٢) عدم متابعة أوقات البث الإذاعى والتلفاذى .
٣) تقدير الطلبات المقبولة للدراسة .
٤) كتابة المقررات الأساسية الأولى .
٥) تصميم برامج الحاسب الآلى .

ولقد أمكن بالعزم والتصميم والتعاون والتنسيق مع الأجهزة المعنية إبراز الفكرة إلى حيز الوجود وتعاطف المواطنين مع الجماعة المفتوحة وعدلت أوقات البث الإذاعى والتليفزيونى بما يناسب معظم الدارسين واستقرت نظم القبول وكتبت المقررات وصممت برامج الحاسب الآلى بما يسمح لها بالمرونة والتفوق .

(ب) التجربة الثانية : جامعة تايلاند المفتوحة :

لقد بذلت في تايلاند محاولات خلال العقد الماضي لتوسيع فرص التعليم العالي من خلال زيادة عدد الجامعات في الأقاليم ، إنشاء جامعة تعتمد سياسة الباب المفتوح في القبول وتشجيع القطاع الخاص للمساهمة في إنشاء كليات خاصة ، ولكن جميع هذه الجهود لم تحقق الاستجابة الكاملة لمتطلبات حاجات المواطنين والمجتمع كما هو مخطط وبخاصة لفئة الكبار من العمال الذين يرغبون في إتاحة فرص التعليم العالي لهم لتحسين نوعية حياتهم وكفاياتهم المهنية في بلد يتغير بسرعة ويمر بعملية تنمية متسارعة مثل : تايلاند " .

ووفقا لهذه الظروف ، فقد تم اعتماد نموذج للتعليم عن بعد في جامعة " تايلاند " المفتوحة بديلا ناجعا إذ أن استخدام هذا النموذج يحقق ديمقراطية التعليم العالي لأن هذا النوع من التعليم ينتقل إلى الطالب حيث كان في بيته أو غيره من الأماكن . وتقدم هذه الجامعة مقررات متكاملة على المستوى الجامعي لرفع مستوى أداء الكبار الذين يعملون في القطاعين العام والخاص ولإتاحة الفرصة لخريجي المدرسة الثانوية الذين يعيشون في المناطق الريفية للعمل والدراسة في آن واحد .

ويتم توفير مقررات أيضا لأولئك المواطنين الراغبين فى زيادة معارفهم دون التسجيل فى برنامج معين بقصد الحصول على شهادة أو درجة علمية ، وهكذا يتم نشر المعرفة وإتاحة فرص اكتسابها لجميع المواطنين .

وليس لدى الجامعة حجرات للدراسة ولكنها تعتمد بدلا من ذلك على منحنى يقوم على تعدد وسائط الاتصال ، بالإضافة إلى شبكة من مراكز محلية وإقليمية للدراسة . وأن الوسائط الرئيسية المعتمدة هى المواد المطبوعة والكتب والبرامج الإذاعية والتليفزيونية ،بالإضافة إلى أشرطة الفيديو والأشرطة الإذاعية، كما أن المراكز المحلية والإقليمية توفر لقاءات إرشادية وتوجيهية بالإضافة إلى تسهيلات دراسية أخرى للطلاب فى جميع أنحاء البلاد.

وتصل برمج التعليم عن بعد إلى كل زاوية من زوايا الوطن . ويقدم للطلاب تربية فى بيوتهم ويساعد على تحسين نوعية الحياة والعمل لعدد أكبر من المواطنين .

إن فكرة إنشاء جامعة مفتوحة فى " تايلاند " قد نالت دعما حقيقيا من الحكومة التايلاندية فى عام ١٩٧٦ م عندما عين مكتب الشؤون الجامعية لجنة للتخطيط للبدء فى مشروع إنشاء جامعة مفتوحة وتعيين بروفسور سيريزا آن مقررا لهذه اللجنة . وخلال مرحلة التخطيط برزت عدة أسئلة : ما الضرورة (الحاجة) لإنشاء

جامعة مفتوحة ؟ هل الجامعة المفتوحة قادرة فعلا على المحافظة على نفس نوعية المعايير الأكاديمية فى الجامعات التقليدية ؟ هل يجدى الاستثمار فى مثل هذا النوع من الجامعات ؟ هل سيحدث بسبب ذلك إهدار تربوى كبير ؟ وكان السؤال الأساسى الأكثر أهمية هو : هل الشعب التايلاندى سيرتاح لنظام التعليم عن بعد علما بأنه اعتاد على نظام الدراسة الصفية طيلة حياته السابقة ؟ وكان بد من توفير إجابات واضحة ومحددة وآنية لهذه التساؤلات .

ولم تواجه لجنة التخطيط المهمة الصعبة المتعلقة بإنشاء الهيكل التنظيمى الإدارى والأكاديمى للجامعة المفتوحة لتأكيد نظام التعليم عن بعد وحسب . وإنما كان عليها مهمة جمع المعلومات والبيانات ذات العلاقة وتحليلها ووضعها أمام السلطات المعنية بصناعة القرار من أجل تبديد الشكوك لديهم واقتناعهم بتفضيل إنشاء مثل هذه الجامعة بالإضافة إلى الحصول على الدعم الشعبى اللازم لهذا المشروع .

وبناء على ذلك ، وخلال مرحلة التخطيط للمشروع ، فقد تم اتخاذ عدد من الإجراءات الاحتياطية وذلك لضمان مبررات ومسببات النجاح التى تمثلت فى مسح الحاجات التربوية للمجتمع وعقد اجتماعات مع الأكاديميين فى الجامعات المختلفة لتوكيد مدى فعالية مفاهيم وتقنيات التعليم عن بعد وإعداد مرجعية عن هيكلية وتنظيم الجامعات المفتوحة القائمة فى عدد من بلدان العالم وعمل مسح للبنى الأساسية القائمة والمشجعة بهذا النمط من التعليم (ومنها على سبيل

المثال تسهيلات الخدمة البريدية ، ومحطات الإذاعة والتليفزيون) . وفى النهاية وبعد أن أوفت لجنة التخطيط بالمهمة الموكولة إليها تقدمت بمشروعها إلى الحكومة للمصادقة عليه . وفى ٥ أيلول عام ١٩٧٨ م تم تأسيس جامعة " تايلاند " المفتوحة بموجب مرسوم ملكى لتصبح أول جامعة مفتوحة فى تايلاند وفى منطقة جنوب شرق آسيا .

ومع أن الجامعة المفتوحة قد تم إنشاؤها رسميا إلا أنها لم تكن فى وضع يمكنها من قبول الطلاب فورا ، وتحتاج إلى حوالى سنتين من الإعداد والتحضير قبل أن تبدأ فى قبول الدفعة الأولى من الطلاب . وتم العمل على ترجمة خطة الجامعة إلى حقيقة واقعة ، انقضت السنتان الأوليان ن التحضير فى تمكين الجامعة فى إطار الممارسات الواقعية . وكانت المهمات الرئيسية تتصل بتنظيم واختبار وتطوير الكادر للجامعة وتوفير الأموال والتسهيلات وتطوير المناهج وتصميم التعليم ، وخلال مرحلة التحضير لاستقبال أول دفعة من الطلاب المقبولين ، كان السؤال الرئيسى هو هل يتم استقبال الطلاب قبل أن يكون للجامعة موقع دائم أم تأخير ذلك حتى يتم استكمال المقر الرئيس للجامعة (والذى كان متوقعا إنجازه فى عام ١٩٤٨ م) . وكان البديل الأول الذى تم اختياره لاختبار إمكانية استخدام الموارد القائمة بأقصى ما يمكن ، بالتالى وقع أول تسجيل للطلاب فى الجامعة فى ديسمبر عام ١٩٨٠ م

حيث سجل بها ٨٢,٠٠٠ طالبا تقريبا في كليتين هما كلية الدراسات التربوية وكلية العلوم الإدارية . وكان هذا الرقم أعلى سبع مرات مما تم تقديره أولا .

ومع ذلك ، ورغم ما كان مخططا له من أن تعمل الجامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة - بأقصى طاقاتها منذ البداية - فإن الجامعة قبلت جميع الطلبة الذين تقدموا بطلبات دون استثناء ، وخلال السنوات من ١٩٨١ - ١٩٨٥ م ارتفع حجم تسجيل الطلاب إلى ما يقارب (٣٧٠,٠٠٠) طالب وزاد عدد الكليات الجامعية ووصل إلى عشر كليات . والكليات العشر هي : كلية الآداب ، وكلية التربية ، وكلية العلوم الإدارية ، وكلية العلوم الصحية ، وكلية الحقوق ، وكلية الاقتصاد المنزلي ، وكلية العلوم الزراعية والتعاونيات ، وكلية العلوم السياسية ، وكلية علوم الاتصال .

وفي المراحل الأولية لإنشاء الجامعة انصب التركيز على وظائف التدريس والخدمات ، وفي مجال التدريس فإن الجامعة تقدم حاليا برامج درجة البكالوريوس ، وحتى هذا العام ١٩٨٦ فقد منحت الجامعة درجة البكالوريوس لثلاث دفعات حيث بلغ مجموع الخريجين (٣٨,٣١٨) خريجا . وفي مجال الخدمات فإن الجامعة قد أكدت على توفير التربية المستمرة للمواطنين وقد تم تحقيق هذا بثلاثة أساليب :

أولا: أنشأت الجامعة برنامجا أطلقت عليه اسم " شهادة انجاز " ولم تحدد الجامعة أية شروط للالتحاق به ويدرس الطلبة فى هذا البرنامج نفس المقررات ويجلسون لنفس الامتحانات التى يأخذها الطلبة العاديون الملتحقون بالبرنامج الذى يقود إلى درجة علمية وإذا اجتازوا الاختبارات لأى مقرر فإنهم يحصلون على شهادة إنجاز وحتى اليوم تم تسجيل ثمانى دفعات فى هذا البرنامج وسجل فيها حوالى (٩,٠٠٠) طالبا .

ثانيا : أعدت الجامعة برامج تدريبية أثناء الخدمة بالتعاون مع هيئات حكومي وخاصة اعتمادا على الاحتياجات التدريسية لكل هيئة من هذه الهيئات . ومن هذه الناحية فإن نظام التعليم عن بعد بكامله يستخدم فى تنفيذ برامج التدريب أثناء الخدمة . ومن هذه البرامج التى أنشئت بالتعاون مع مديرية الشرطة لتدريب الضباط وتعليمهم القانون مما لم يسبق لهم دراسته ، وثمة برنامج آخر تم إنشاؤه بالتعاون مع إدارة الأراضى لتدريب المسؤولين فى تلك الإدارة ، وبرنامج ثالث تم إنشاؤه بالتعاون مع الأدوات المحلية لتوفير تدريب إدارى لنواب رؤساء المناطق ورؤساء القرى ، وبرنامج رابع تم تقديمه بالتعاون مع إدارة تطوير المجتمع المحلى ، وكان الهدف منه توفير التدريب اللازم للنساء فى مجالات الاقتصاد المنزلى وإدارة الأسرة والمهارات المهنية .

ثالثا : استخدمت الجامعة وبشكل مكثف وسائط البث الإذاعي والتليفزيوني لنشر المعرفة والمعلومات على الناس في أنحاء البلاد ويذاع أكثر من (١٥٠) برنامج (وكل برنامج لمدة ٢٠ دقيقة) أسبوعيا ، أي ما مجموعه ٧,٨٠٠ برنامج كل سنة ، ويبث أسبوعيا (٢١) برنامج تليفزيوني (وكل برنامج لمدة ٣٠ دقيقة) أي ما مجموعه (١,١٠٠) برنامج في السنة .

ويقدر عدد المستفيدين من هذه البرامج الذين يشاهدونها ويستمعون لها حوالي خمسة ملايين من الطلاب والمواطنين.

ونظرا لأن الجامعة ما زالت من حيث التصنيف في مرحلة البداية ، فإنه من المناسب عرض بعض المشكلات التي تم اكتشافها خلال الفترة القصيرة من بداية التعليم المفتوح ، وهي في مجموعها تشكل حوالي ست قضايا أو نقاط تتلخص في :

١- النقطة الأولى : ضرورة التعليم العالي عن بعد :

في البلاد النامية تكون فرص التعليم في النظام التقليدي محدودة إلى حد ما ولما كان مستوى النمو الاجتماعي والاقتصادي لأي مجتمع يرتبط بشكل أساسي بالتعليم وبالمهارات والمعارف والاتجاهات والقيم الاجتماعية والإنتاجية السائدة فيه ، فإنه من الضروري أن يسود في المجتمع نمط من التعليم يمكن الأغلبية العظمى من المواطنين من الحصول على فرص التعليم على أسس

متكافـــئة دون أن يضـــطرهم إلـــى تـــرك أعمـــالهم للالـــتحاق بالدراســـة ، وعلـــى هـــذا الأســـاس يعتبـــر نظـــام التعلم عن بعد وسيلة اقتصادية وفعالة لتوفير الفرص التعليمية .

٢ ــ النقطة الثانية : المستهدفون فى نظام التعلم عن بعد ؟

علـــى الـــدول النامـــية أن تحـــاول تلبـــية الطلب المتزايد على التعلم مـــن قـــبل الراشـــدين الكـــبار ، وخريجـــى المدرســـة الثانوية ، وأن إنشاء جامعة مفتوحة يحقق هدفين رئيسيين :

أولهما : تمكين الراشين الكبار من الدراسات الجامعية .
وثانيهما: توفير أماكن دراسية للشباب من خريجى المدرسة الثانوية.

وبالنســـبة لجامعـــة مفـــتوحة مـــثل جامعـــة تايلاند المفتوحة عليها أن توفـــر خـــدمات تـــربوية لهاتـــين الفئتين المختلفتين فى مستوى النضج الخلفـــيات وأســـلوب الحـــياة ومســـتوى الدافعـــية ــ وعـــن طـــريق نفس نمـــوذج الـــتدريس ــ إنمـــا يشـــكل مشـــكلة معقدة لا محالة . حيث يسمح لمجمـــوعة الكـــبار مـــن الموظفـــين (الـــذين يقومـــون بأعمال) الالتحاق بنظام دراسة عن بعد مع الاستمرار فى وظائفهم العادية .

وفـــى الحقـــيقة، قـــبلت الجامعـــة فـــى الســـنتين الماضيتين خرجين جـــدد مـــن المدرســـة الـــثانوية بنسبة ١٠% أقل من مجموع الطلبات التى تقـــدم كـــل ســـنة ، ولـــذلك ، وعلـــى الرغم من فتح باب القبول لفئة الكبار

من العاملين وفئة خريجى المدرسة الثانوية الجدد ، فإنه من الواضح أن نظام التعلم عن بعد له شعبية أكثر عند فئة الكبار من العاملين ومن المتوقع أن يستمر هذا الاتجاه .

٣ ــ النقطة الثالثة : إنشاء نظام مناسب للتعلم والتعليم عن بعد :

فى بداية هذا المشروع كانت هناك محاولة للاطلاع على مشروع يفى بالحاجة أو نموذج ناجح لتبنيه بعد القيام بدراسة لتطويره إنجازه وتم استعراض نماذج الجامعات المفتوحة مثل الجامعة المفتوحة فى بريطانيا للاستفادة من خبرتها الطويلة فى مجال التعليم عن بعد ، وبعد القيام بعدة زيارات استطلاعية ودراسية لمناطق مختلفة من العالم ، اقتنع المسؤولون بأنه من المستحيل أن تبنى أو تقليد أى نموذج قائم ، وأن أية مؤسسة يجب أن تصمم (تصنع) نظامها الخاص بها الذى يناسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية للبلد الذى ستوجد فيه .

وفى الدول النامية تقنيات الاتصالات الجماهيرية لم تحقق بعد درجة التقدم المرغوبة ، وأن استخدام الراديو والتليفزيون بشكل خاص مازال محدودا ، لذلك فإن الاعتماد الأكبر يجب أن يكون على المواد المطبوعة بدلا من الوسائط الإلكترونية ، وحيث أن الخدمات التربوية المحلية نادرة وليس من السهولة الوصول إليها فإنه من الضرورى تعضيد التعليم المستقل (الذاتى) بتوفير فرص الإرشاد

والتوجيه من خلال الاتصال بين الطالب والمشرفين ، ومشكلة أخرى تتصل بعملية النشر بلغة أجنبية (كالإنجليزية) على اعتبار أن اللغة الأم هى التى تستخدم كوسيط فى التدريس ، فإنه من المستحيل استخدام المواد التعليمية المتوافرة فى الجامعة المفتوحة الأخرى والقائمة فى دول متقدمة ، ولذلك كان هناك المزيد من المسؤوليات التى يتوجب الاطلاع بها ، ويمكن الاعتراف بأن هذه المشكلة قد يمكن حلها عن طريق الترجمة ولكن بشكل عام فإن إنتاج وتطوير مواد تعليمية تستخدم فى التعلم الذاتى لابد من تحقيقها ، وفيما يتعلق بعملية التبادل للمواد التعليمية فيما بين مؤسسات التعلم عن بعد ، فإن الاحتمالات لتحقيق ذلك محدودة إلى حد ما ، وما يمكن إنجازه بيسر هو فى مجال المعرفة الفنية بكيفية العمل وليس فى المواد التعليمية .

٤ ــ النقطة الرابعة : ضمان نوعية تدريس عالية والحيلولة دون هبوط المعايير :

يميل عدد من الأكاديميين وبخاصة أولئك العاملين فى الجامعات التقليدية ، والجهات المستخدمة التى اعتادت على الممارسات التربوية التقليدية إلى الشك فى إمكانية التعليم عن بعد بفعالية ويزعمون بأن نظام التعلم عن بعد من المحتمل أن ينتج خريجين من نوعية هابطة بالمقارنة مع خريجى الجامعات التقليدية .

صحيح أن بعض الجامعات المفتوحة من مثل الجامعة البريطانية المفتوحة أثبتت بأنه من الممكن توفير تعليم من نوعية عالية مشابهة لما توفره الجامعات التقليدية ومع ذلك فإن الجامعة المفتوحة عليها مواجهة معضلات من أنواع مختلفة من قبيل التى ورد ذكرها سابقا وأن المسألة تتعلق بكيفية إقناع المواطنين بفعالية نظام التعلم عن بعد والفوز بالاحترام اللازم لمثل هذا المنحى الجديد بسرعة ، حتى يتحقق الاحترام المنشود لهذا النوع من التعليم .

٥ ـ النقطة الخامسة: تجنب الإهدار دون إنتاج وفرة ن الخريجين :

إن المعضلة التى تواجه معظم الجامعات المفتوحة تتلخص فى أن هناك نسبة عالية من التسرب ومن جهة أخرى هناك فائض من الخريجين يتجاوز الطلب عليهم واقتصاديو التعليم يميلون لنقد الاستثمار فى مجال التعليم عن بعد من خلال إبرازهم للحقيقة القائلة بأن معدل الإهدار فى الجامعات المفتوحة أعلى من الجامعات التقليدية، وفى نفس الوقت ، إذا كانت الجامعات المفتوحة يمكنها التدريس بفعالية فهناك الخوف من حدوث وفرة زائدة من الخريجين بسبب كثرة قبول الطلاب بنسبة أعلى من قبولهم بمؤسسات التعليم العالى التقليدية ، وفى نفس الوقت إذا كانت الجامعة مفتوحة بكل معنى هذه الكلمة فإن فرص الفرص التعليمية التى تقدمها للمجتمع ككل تكون غير محدودة . ولهذا فإن المطلوب هو كيفية تحقيق توازن

بـين الطلـب الاجتماعـى علـى التعليم ومتطلبات العمالة ، وأن خبرتنا فى مجـال إحصـائيات الطـلاب المسـجلين تشـير إلـى أن مشكلة الخريجين العاطلـين عـن العمـل ليسـت مشـكلة حقيقـية لأنه أقل من ١٠ % من خريجـى المدرسـة الـثانوية الجـدد الباقـى مـن العاملين الكبار الذين لا يـريدون فصـل العمـل عـن الدراسة ، ولهذا فإنه من الواضح أن التركيز أكثـر علـى التعلـيم أثـناء الخدمـة لأولـئك الذين يعملون أكثر من التعليم قـبل الخدمـة لأولـئك الـذين لـم يدخلـوا بعـد سـوق العمل . ولدينا كل المبـررات المقـنعة بـأن هـذا الاتجـاه سيستمر ولهذا فإن معضلة البطالة لـن تظهـر علـى الإطـلاق ، ولسـوف تؤثـر فقط على نسبة ضئيلة من الطلاب .

٦ ــ النقطة السادسة والأخيرة : مفتاح النجاح ؟

إن توفيـر التعليم العالى عن طريق نظام التعلم عن بعد مدين بفشله أو نجاحـه إلـى الكادر المتاح وبخاصة الكادر الأكاديمى . وفى الدول النامية ، هـناك أصلا ندرة فى الكادر المؤهل تأهيلا جيدا فى الجامعات التقليدية ، وأن تأسـيس جامعـة جديـدة تصبح معها مشكلة أزمة الكادر أكثر حدة وعملية الاختبار تكون محدودة . وفى حالة الجامعة المفتوحة ، وحتى لو بذلت عناية كبيـرة فـى عملية اختيار كادر مؤهل بشكل جيد ، فإن مشكلة تكييفهم للنظام الجديد . تبقى مهمة صعبة . وفى الحقيقة أنها مهمة صعبة جدا لتحويلهم إلى متحمسـين وخبـراء فـى النظام الجديد . وليس من المبالغة القول بأن نظام

التعليم عن بعد قد أحدث تغييرات جذرية فى التعليم العالى الذى كان ينظر إليه علـى أنـه طقـوس مقدسـة تمـارس خلف أبواب مغلقة لعدة قرون . وأن الأكاديميـين الـذين ينخـرطون فـى نظام التعليم العالى يطلب منهم لذلك أن يمتلكوا الشجاعة والمهارات . إن من أولى المهمات العظيمة التى يجب القيام بهـا منـذ البداية بالنسبة لجامعة مفتوحة فى الدول النامية أن تهيىء قيما واتجاهـات جديدة ، وبكلمات أخرى فإن على الأكاديميين أن يمروا بما يمكن أن نطلـق علـيه اسـم قلـب التـربة ليصـبحوا داء جديدة من الأكاديميين المتعاطفين مع نظام التعليم عن بعد .

وإذا كـان تطوير الكادر يعتبر المفتاح للنجاح فالتعاون مطلوب أساسا بـين مؤسسـات التعلـيم عن بعد من خلال تبادل الخبرات والموارد من أجل إغـناء خبـرة ومعرفة كوادر التدريس وتزويدهم بمهارة جديدة . وهذا الأمر يجـب أن يتم التركيز عليه بقوة لتحقيق مستوى (جودة ونوعية) عالية من التعليم والتعلم عن بعد ، لذلك فإن المدرسين هم بلا شك المفتاح للنجاح .

إن نظـام التعليم والتعلم عن بعد يعتبر تجديدا يسهل عملية ديمقراطية التعليم العالى فى المجتمع . ومن السهل قول هذا ، ولكن من الصعب ترجمته إلـى واقع . وعلى أى حال ، إن الأمر صعب كما يلاحظ وكلنا قد يجمع على أن التعليم عن بعد رسالة يجب أن نؤديها وتحد يجب أن نقبله فى آن واحد .

(ج) تجربة جامعة العلامة إقبال المفتوحة فى الباكستان :

١ ـ تمهيد :

بدأ التعليم عن بعد فى جامعة العلامة إقبال المفتوحة بالباكستان منذ ١٢ سنة مضت ونجحت الجامعة بذلك فى إرساء أسس التوجه لهذا النوع من التعليم ، وهى جامعة ذات وسائل ومستويات تعليمية ومقررات متنوعة ، فهى تقدم برامج دراسية تتراوح من محو الأمية إلى دراسات جامعية ، وهى تجذب عددا كبيرا من الطلاب الذين تصلهم وحدات المقررات الدراسية فى منازلهم أو أماكن عملهم ، كما أن المقررات الدراسية مفيدة للراغبين فى العلم والثقافة دون التسجيل للحصول على درجة علمية أو شهادة أو دبلوم .

وهى توفر فرصة ثانية لمن لم يتمكنوا من مواصلة دراستهم فى المعاهد الرسمية ويبحثون عن فرصة تحسين مؤهلاتهم الدراسية. كما أنها توفر فرصة التدريب على رأس العمل للمهتمين ، ويجرى حاليا الإعداد لتقديم برامج تتيح فرصة الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراة فى هذه الجامعة .

وتستخدم الجامعة كل الوسائل والمعينات من سمعية وبصرية ومطبوعة (المذاعة وغير المذاعة) فى التعليم وكذلك اللقاءات المباشرة بين الطلبة والأساتذة كلما دعت الظروف لذلك .

ونستطيع أن نقول ببساطة أن جامعة العلام إقبال تتيح فرصة التعليم للمواطن مدى الحياة وهى بذلك تسد الثغرات التى تنتج عن تطبيق النظم التعليمية التقليدية إذ أنها تحمل التعليم إلى المناطق المحرومة والمعزولة .

وتتكون وحدات البرامج الدراسية من نصوص مطبوعة مصممة خصيصا للتعليم الذاتى وبدون مساعدة من المدرس ويدعمها برامج إذاعية وتلفازية على شكل البث الوطنية وكذلك شرائط إذاعية وشرائط فيديو ووسائل تعليمية أخرى .

٢ ـ قوة التعليم وتدفقاته :

إن الاستيعاب السنوى الحالى بلغ ١٢٠,٠٠٠ طالبا أى بزيادة ١١٠ % عن سنة ١٩٧٥/١٩٧٦ م ، وهناك حاليا ١١٠ مقررات دراسية وينتظر أن تصل إلى ١٥٠ مقررا دراسيا مع نهاية سنة ١٩٨٨م ، أما ميادين التعليم فهى التعليم العام والتعليم الوظيفى وإعداد المعلمين وتعليم المرأة والتعليم العالى وتشمل فئات الدارسين الطلبة من ١٦ ـ ٧٥ سنة وأكثر، ونسبة التعليم العام المفتوح ٤٠% من إجمالى الدارسين والتعليم الوظيفى ٣٠ % وإعداد المعلمين ٢٤% ونسبة ١ % فقط لمواصلة دراسة مقررات الماجستير .

٣ ـ الوسائل التعليمية ودعم وسائل التعليم :

أهم مصدر فى الوسائل التعليمية هو المواد المطبوعة والواجبات والورش والراديو والتليفزيون ، ويجرى العمل حاليا على إنتاج أشرطة راديو وفيديو ترسل إلى الطلبة مع المطبوعات أو توضع فى المراكز الدراسية التى بلغت حاليا ٣٥٠ مركزا دراسيا . وستوضع فى بعض هذه المراكز حاسبات آلية ، كما تستخدم هذه المراكز ١٣٠٠ معلما لبعض الوقت لتسهيل مهمة الطلبة .

٤ ـ المقررات والمجموعات (الوحدات) الدراسية :

توفر الجامعة سلسل كبيرة من المقررات الدراسية بمستويات متنوعة مما يتيح للطلبة فرصة جيدة لاختيار المناسبة للدراسة ، وقد تم عمل مجموعات (وحدات) دراسية متجانسة لتفادى الهدر ووضع أساس للتخصص فى مستوى الماجستير والمجموعات هى : الإنسانيات ، وإعداد المعلمين ، والتعليم الفنى ، إدارة الأعمال ، التجارة ، العلوم الاجتماعية ، اللغة العربية ، الدراسات الباكستانية ، الدراسات الإسلامية ، والاقتصاد المنزلى ، وتعليم المرأة ، ويخطط هذه البرامج ويعدها ويتعهدها ثلاث كليات فى الجامعة هى :

- كلية العلوم الإنسانية والتطبيقية .
- كلية علوم التربية وتعليم الراشدين ومواصلة التعليم .
- كلية العلوم الاجتماعية الإنسانيات .

أمـــا المقررات فهى المستويات الوظيفية والدراسات الثانوية وما بعد الثانوية (للجامعة) والدراسات العليا .

٥ ـ دراسات السكان وتعليم المرأة :

أعـــدت جامعـــة العلامـــة إقـــبال المفـــتوحة ترتيبات خاصة لدراسات فـــى مجـــالات الاحتـــياجات العاجلـــة ، إن تعلـــيم الســـكان مجال مهم لدول العالم الثالث وقد أعدت مقررات خاصة للمعلمين .

وبتوجـــيه مـــن حكـــومة باكســـتان أعدت هذه الجامعة برامج شاملة ومتوســـطة وعالمـــية لمحـــو الأمـــية وتعلـــيم المـــرأة ، وتعطـــى الأولوية للمقـــررات الوظيفـــية التـــى تـــؤدى إلـــى الحصـــول علـــى الـــثانوية (الماتريكيوليشـــن) وفـــق نظـــم التعلـــيم عـــن بعـــد ، وقد قررت الجامعة توفيـــر فـــرص تعليمـــية لمجـــتمع النســـاء وخاصـــة اللاتـــى يعشـــن فـــى المـــناطق الـــريفية ومـــن المقـــرر تعلـــيم (١٠٠٠٠) امـــرأة إلـــى مستوى الثانوية (الماتريكيوليشن) فى الخطة الحالية .

٦ ـ خدمات الإرشاد والتوجيه الطلابى :

توفـــر الجامعـــة المســـاعدة الكاملـــة للطـــلاب ضـــمن إطار برنامج خـــدمات الإرشـــاد والتوجـــيه الطلابـــى وذلـــك للطـــلاب الـــذين لا يدركون إجـــراءات ووســـائل التعلـــيم والـــذين يواجهـــون مشـــكلات دراسية تتعلق بمقررات معينة .

٧ ـ البحث والتنمية :

أنشأت الجامعة إدارة للبحث والإحصاءات وتتولى هذه الإدارة البحوث وإعداد الدراسات التقويمية وتوفير المعلومات الضرورية لبدء المقررات الدراسية وتطويرها ، وهناك لجنة خاصة للبحث والتقنية تقوم على فحص وتحسين العمل الأكاديمى وإجراء بحوث فى جميع المجالات الأكاديمية التى تقدمها الجامعة .

٨ ـ المشروعات التعليمية :

تعهدت الجامعة ببعض المشروعات التعليمية ذات الأهمية الكبيرة على المستوى الوطنى ، وهى مشروعات لا تقف مسؤولية الجامعة فيها عند الاشتراك فى مسؤولية محو الأمية على المستوى الوطنى بل تتعدى ذلك إلى مسؤولية إنتاج المواد اللازمة لبرامج محو الأمية والاستراتيجيات والسياسات وتبنى الوسائل الحديثة الممكنة ، ومن المشروعات التعليمية ما يركز على تعليم المجتمعات القروية النسائية وتسهم الجامعة فى هذا المشروع بإنتاج مواد تعليمية بثلاث لغات هى الأوردية والسندهية والبوشتو ، وقد وفرت مراكز هذا المشروع الفرصة لمحو الأمية الوظيفية لسبعة آلاف شخص من الجنسين .

كما تشارك الجامعة فى مشروع التعليم المدنى الذى يهدف إلى تدريب القيادات المحلية لكى تلعب دورها بكفاءة .

وتدير الجامعة بنجاح لحساب اليونسكو بعض المشروعات ومن أهمها مشروع المدارس المتحدة ASP الذى يركز على تنمية التفاهم الدولى للسلام ومن خلال التعليم ومشروع البرنامج الآسيوى للمستجدات التربوية من أجل التنمية APEID ويركز هذا المشروع على تطوير الوسائل والأساليب الحديثة فى التعليم . وتنتج الجامعة المواد المطلوبة لهذين البرنامجين . كما تضطلع جامعة العلامة إقبال المفتوحة فى الباكستان بمهمة إنشاء المعهد الإقليمى للتعليم التكميلى بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة الدول الإسلامية وسيضطلع هذا المعهد بتعليم التربية الإسلامية واللغة العربية للمسلمين فى آسيا .

قضية مطروحة أمام جامعة الخليج المفتوحة :

عندما يشخص الناس تشخيصا واضحا للعمل على حل مشكلاتهم التربوية ويخططون احتياجاتهم المستقبلية فى ضوء مكتشفاتهم فإنهم سيفجرون الطاقات الوطنية ويتملكون زمام القوة .

العرض السريع لمؤسسات التعليم عن بعد وإنجازاتها ومصداقيتها التى ثبتت بمرور الوقت وتحليل الوضع القائم كل ذلك يوفر أرضا خصبة قاعدة اختيار أمام الجامعة المفتوحة المقترحة للدول العربية الخليجية ، إن الحاجة إلى هذا النظام العالم العربى

بجماعات فى وقتها ومتطلباته تبررها الظروف الجغرافية والسكانية فى الأجزاء العديدة للوطن العربى .

فالمعلومات والمهارات والخبرات اللازمة لمثل هذا المشروع متوافرة ومتاحة والباكستان دولة شقيقة وتستطيع أن تقدم الخبرات الفنية والمهارات اللازمة للتخطيط والإعداد لهذا المشروع كما يسرها أن تسهم فى تدريب الأفراد اللازمين وإنتاج المواد المطلوبة . وتظل هناك بعض الأسئلة التى ينبغى أن نوجهها إلى أنفسنا وهى :

١) لمن توفر التعليم عن بعد ؟
٢) ما المقررات المطلوبة لتحقيق الهدف ؟
٣) ما الوسائل المتاحة والأكثر ملاءمة للاستخدام ؟
٤) ما البنى الأساسية اللازمة لبدء مؤسسة تعليم عن بعد ؟
٥) ما الوقت المناسب للبدء بفعالية فى المشروع ؟

والإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المشابهة ، توفر البعد اللازم لكى يأتى التخطيط على أسس قوية متينة .

د ـ جامعة الهواء فى اليابان

نشأتها :

لم تكن اليابان أقل حظا من بريطانيا فى اهتمامها بالتعليم الجامعى المفتوح ، وذلك لاقتناعها منذ فترة طويلة ، بضرورة تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لكل اليابانيين ، حيث أن التعليم الجامعى الحكومى ، قد عجز عن مواجهة الإقبال من قبل اليابانيين على التعليم والتعلم ، ومن ثم فقد أصبح هدفا لنقد واسع وكبير من قبل وسائل الإعلام وجماعات الإصلاح المختلفة ، ومن أهم الموضوعات التى كانت مثارا للجدل والنقد اختبارات القبول وما تسببه من توتر مفرط للطلاب . ومن ثم كانت جامعة الهواء هى المنفذ البديل لتحقيق ذلك الهدف النبيل . ولقد تم إنشاء جامعة الهواء فى اليابان عام ١٩٨٣ ، وتم انتظام أول دفعة من الطلبة فى شهر إبريل من عام ١٩٨٥ ، أما بالنسبة للعلوم التى أعدت برامجها لتكون انطلاقة العام الدراسى التأسيسى الأول للجامعة ، فهى : علوم الصناعة ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم الطبيعية .

وخلال السطور التالية سوف نتناول جامعة الهواء فى اليابان كما يلى :

أهداف جامعة الهواء :

تهدف جامعة الهواء فى اليابان إلى تحقيق الأهداف التالية :

- إعداد المواطنين العاملين بالتعليم الجامعى ، والوصول إلى ربات البيوت فى بيوتهن ، واستثمار ما لديهن من خبرات الحياة .
- توفير نظام جامعى مرن لأولئك المتخرجون الجدد من التعليم الثانوى .
- دفع عجلة الأبحاث ، ومواكبة كل ما يتطلبه العصر بالتعاون مع باقى الجامعات الموجودة فى اليابان .

وعموما يمكن القول بأن التعليم الجامعى المفتوح فى اليابان يهدف إلى تدعيم مبدأ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية ، وتأكيد دور التعليم فى تقدم علميا وتكنولوجيا ، كما أنه يهدف إلى فتح أبواب التعليم الجامعى أمام جمهور كبير لم يتمكنوا لظروف خارجة عن إرادتهم من دخول التعليم الجامعى ، كذلك فإن برامج التعليم الجامعى المفتوح تهدف إلى تحقيق دور اجتماعى ، فالطريق مفتوح للدراسة بصرف النظر عن التأهيل السابق .

إدارة التعليم الجامعى المفتوح :

باعتبار أنه لم تنشأ للتعليم المفتوح باليابان (جامعة الهواء) كليات أو أقسام خاصة به ، ولكنه أنشئ فى كليات أو أقسام قائمة بالفعل ، ليكون موازيا لبرامج الدراسة النظامية ، فإنه لا توجد أية تنظيمات خاصة به . ومع ذلك هناك خصوصيات محددة فى إدارة

التعليم المفتوح وتنفيذ برامجه لا وجود لها فى برامج التفرغ ، ذلك أنه من أجل تحقيق أكبر عائد منه تنظم أقسام المراسلة للقيام بوظائف الإدارة والتنفيذ . وهذا لا ينفى حقيقة أن برامج المراسلة بالتعليم المفتوح تعتبر أساسا مسئولية الكلية أو القسم ، بما يتمشى مع سياسات كل منها .

ويمكن القول بأن إدارة التعليم الجامعى المفتوح تتم كما يلى :

(١) قسم التعليم بالمراسلة ، ويضم الأوصياء وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام وأمين المكتبة الشاملة ، ومدير قسم شئون الطلاب وعضوين من كل كلية تقدم تعليما مفتوحا بالمراسلة .

(٢) المدير ويرأس قسم التعليم بالمراسلة ، ويعينه رئيس الجامعة بموافقة اللجنة الأكاديمية .

(٣) اللجنة الأكاديمية ، وهى جزء من قسم التعليم بالمراسلة ، تضم سبعة وعشرين عضوا : تسعة منهم ينتخبون من بين أعضاء هيئة التدريس من الكليات التى تقدم تعليما بالمراسلة . وتختص اللجنة بأمور منها : قبول الطلاب ـ التقدم للامتحانات ـ النواحى الأكاديمية والفنية المتصلة بالمقررات ـ تقويم الطلاب ـ النواحى المتصلة بأعضاء هيئة التدريس .

(٤) مكـــتب الإرشاد والتوجيه الدراسى ، ويعمل به عد من أعضاء اللجنة الأكاديمـــية ، ويرأس المكتب مدير قسم التعليم بالمراسلة ، ويساعده أحد أعضاء هيئة التدريس .

(٥) قسم الطلاب ، ويختص القسم بأنشطة الطلاب خارج المنهج ، ويعين رئـــيس الجامعـــة أحـــد أعضاء هيئة التدريس مديرا للقسم بموافقة مجلس الجامعة .

(٦) الأمانـــة ، وتـــنظم الأمانة لتنفيذ كل ما يتصل بالتعليم بالمراسلة من أمـــور ، وتضـــم الأمانة أقسام التسجيل وشئون العاملين والحسابات والشئون الأكاديمية والشئون العامة .

نظام قبول الطلاب بجامعة الهواء :

فـــى بدايـــة تقديم برامج الدراسة بالمراسلة كان الدارسون من نوعيات مخـــتلفة : جـــنود ، ريفيون ، متخرجون من كليات عسكرية ... إلخ ، وفى الخمســـينات أدى التعلـــيم بالمراسلة دورا هاما فى تأهيل المعلمين وفى إعادة تدريـــبهم . وفى الستينات ومع النمو الاقتصادى فى اليابان بدأ الاهتمام يزداد بالتعلـــيم بالمراسلة للعاملين فى التجارة والصناعة والراغبين فى دخول هذه المـــيادين ، وفـــى أواخـــر الســـتينات انخفض عدد المعلمين الملتحقين بهذه البـــرامج ، وزاد عدد النساء من ربات البيوت ، ويرجع ذلك إلى كثافة برامج تأهـــيل المعلمـــين بالمراســـلة فى الخمسينات ، وزيادة الوعى الاجتماعى فى الســـتينات بين النساء ، مما دفع بأعداد كبيرة منهن إلى التقدم للدراسة . أما فى السبعينات فيلاحظ كثافة البرامج التى تقدم لتأهيل وتدريب معلمى المدرسة

الابتدائية ورياض الأطفال ، التى تقدمها كليات التربية بالمراسلة . ولما كانت مقررات الدراسة مماثلة للمقررات التى يدرسها الطالب المنتظم ، فإن شروط القبول ببرامج التعليم بالمراسلة هى نفس الشروط المطلوبة بالنسبة للطالب العادى للالتحاق بالجامعة . هذا وهناك جامعات تعفى الطلاب الذين يدرسون بالمراسلة من بعض اختبارات القبول التى تعقد للطلاب المنتظمين . ويمكن للدارسين التسجيل فى أى وقت خلال الفترة من إبريل حتى أكتوبر من كل عام. وتحدد كل جامعة شروط القبول ببرامجها ، وتختار دارسيها بعد فحص سجلاتهم المدرسية وتقديم الوثائق المطلوبة .

البرامج الدراسية ونظم الدراسة فى جامعة الهواء :

تقدم جامعة الهواء فى اليابان برامجها فى علوم الصناعة ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم الطبيعية ، وتشترط جامعة الهواء أن يكون الدارس حاصلا على الثانوية العامة ، وإن لم يكن كذلك فعليه إنجاز عدد معين من الوحدات الدراسية التى تؤهله للقبول ، ومن ثم الانتظام .

وتمنح جامعة الهواء الدارسين فى نهاية المراحل الدراسية درجة البكالوريوس فى الدراسات الحرة ، ونظام الدراسة فى جامعة الهواء مرن ومفتوح للجميع ويتوجب على الدارس فيه الآتى :

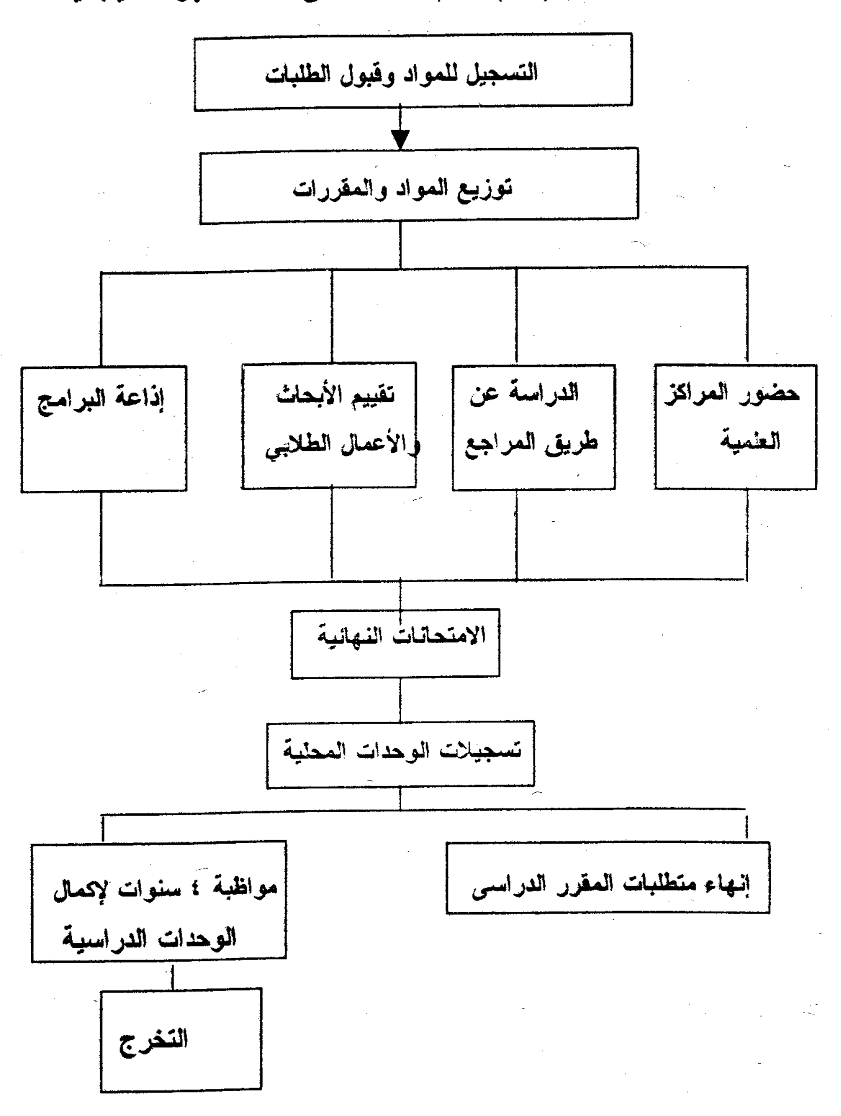
- مشاهدة البرامج التليفزيونية والاستماع إلى البرامج المذاعة بما يعادل (٤ ــ ٥) برامج فى الأسبوع الواحد .
- دراسة الكتب والمقررات المطلوبة لمدة ٤ ــ ٥ ساعات أسبوعية .

- حضـــور الـــدروس فـــى المركز مرة واحدة فى الأسبوع ، ولمدة ٣ ســـاعات ، ويســـتمر الـــدارس إلى أن ينهى مـــا يعادل ١٢٤ وحدة دراسية ، كى يحصل على شهادة البكالوريوس .

وتـــبث جامعـــة الهـــاء بـــرامجها لمدة ١٨ ساعة يوميا ، من الساعة السادســـة صـــباحا حتى الساعة الثانية عشرة مساء ، وتعاد البرامج فى أيام مختلفة من الأسبوع ، وفى أوقات متباينة ، كى تده الفرصة لجميع الدارسين من مشاهدتها والاستماع إليها . كما هيأت جامعة الهواء مراكز تعليمية بها ، يســـتطيع الدارس الانتظام بها من أجل مزيد من التعليم ، من خلال اللقاء مع باقـــى الدارسين أو لتلقى الإرشادات من المدرسين ، كما أن الدروس الحلقات الدراســـية التى تعقد فى المراكز التعليمية تستمر خلال أيام الأسبوع والعطل ، وذلـــك من أجل تحقيق مرونة التعليم للجميع . والمراكز التعليمية هى مراكز لعقـــد الامـــتحانات الفصـــلية للدارســـين ، ويزود كل مركز تعليمى بمسؤول ومدرسين منتظمين من أجل التعليم والإرشاد والتوجيه .

ويقـــول ديـــر جامعـــة الهـــواء فى اليابان السيد (هيدو كاتسوكى) : أستطيع أن افترض أن المنتظم بالدراسة الجامعية فى مثل هذا النظام يمكن أن يحقـــق النـــتائج المـــرجوة هذه ، إذا كان ذا عزيمة كافية تعينه على مواصلة تعلـــيمه ، ويضيف قائلا : إن الدافع للتعليم يزداد كلما تقدم العمر بالإنسان ، خاصـــة فـــى هـــذا العصـــر الذى تتقدم العلوم فيه بشكل مطرد . وهذا النظام الجامعـــى يـــدع مـــزيدا من الفرص لأولئك الذين ل تسمح لهم فرص التأهيل الجامعى حتى الآن .

ويبين الشكل رقم (٣) نظام الدراسة فى جامعة الهواء اليابانية



وعموما يمكن القول بأن نظام الدراسة بجامعة الهواء تشمل ما يلى :

(١) نظم عادية كتلك التى يدرسها الطالب المنتظم بالجامعة أو الكليات الصغرى ، يحصل الطالب فى نهايتها على نفس المؤهل الذى يحصل عليه زميله التفرغ . وقد كانت هذه البرامج قاصرة على الكليات النظرى ، ومع عام ١٩٧٥ وبصدور قانون مستويات التعليم بالمراسلة بدأت كليات العلوم والهندسة تقديم برامج دراسية للدارسين ، وهى برامج للتعليم بالمراسلة تتضمن أساسا تجارب أعمال تطبيقية . وهناك برامج لتأهيل المعلمين ، حيث تقدم كليات التربية برامج للتعليم بالمراسلة طبقا لقانون تأهيل المعلمين . وهناك فرصة أمام الدارس لدراسة مقررات تخصصية متعددة ليس فقط فى مستوى الدرجة الجامعية الأولى ولكن فى مستوى الدراسات العليا التى تؤدى إلى الحصول على درجات متعددة حتى درجة الماجستير فى تخصصات متعددة فى كليات متنوعة .

(٢) نظم أخرى لا تؤدى بالدارس للحصول على درجة وهى :

- نظام السينكوكا Senkoka ، ويتضمن برامج لطلاب الدراسات العليا الراغبين فى تعميق تخصصهم ، ومدة هذا البرنامج عام واحد .

- نظـــام القـــيد الخـــاص : وهـــو نظـــام يتيح الفرصة لمن لا يحملون مـــؤهلات تســـمح لهـــم بالالـــتحاق بالجامعـــات لدراســـة مقررات جامعية لا يحصل الدارس بعدها على درجة علمية .
- نظـــام دراســـة الموضـــوع الـــواحد : حيث يدرس الطالب موضوعا واحـــدا فقـــط دون اعتـــبار لمـــؤهلاته الســـابقة ، ويخـــتار هـــذا الموضوع من موضوعات محددة سلفا .
- نظـــام الاســـتماع ، حـــيث يـــدرس الطالـــب مقـــررات بالمراســـلة تؤهله لدخول امتحان شهادة العمل بالتعليم .

(٣) الـــتمدرس Schooling ، وبســـبب صـــعوبة الانـــتهاء مـــن دراســـة بـــرنامج تعليمـــى علـــى المســـتوى الجامعـــى بالمراســـلة والـــبث فقـــط ، فـــإن الـــتمدرس المباشـــر يعتبـــر أمـــرا ضـــروريا . ويتـــيح الـــتمدرس تـــناول الموضـــوعات التـــى يســـتحيل تـــناولها بالمراســـلة ، ومـــن أمـــثلة ذلـــك : التـــربية البدنـــية ، والأعمـــال التطبيقـــية ، واللغـــات ، وحلقـــات المناقشـــة ، ومـــن جهـــة أخـــرى يحقـــق التمـــرس أهـــدافا ســـلوكية ، ويشـــبع إحســـاس الـــدارس بانـــتمائه إلـــى الجامعـــة ، بدراســـته فـــى حـــرمها ، ويقـــدم للدارســـين فرصـــة التعـــرف علـــى بعضـــهم وتكـــون صـــداقات والاحـــتكاك المباشـــر بهيـــئة الـــتدريس ، فضـــلا عـــن اكتساب روح الحياة الجامعية .

ومن أنماط التعليم المدرسى :

- **الدراسة الصيفية : ويدرس الطالب فيها موضوعات متنوعة داخل الجامعة فترة تتراوح ما بين ثلاثة وستة أسابيع فى يوليو وأغسطس من كل عام .**
- **الفصول المسائية : وهى أيضا داخل الجامعة أو أحد مراكزها .**
- **فصول نهارية على مدار العام ، والنسبة المخصصة لها قليلة ، نظراً لما تتطلبه من تفرغ وما يتصل بذلك من انقطاع الدارس عن عمله . وتتم هذه الدراسة فى مراكز داخل المدن الإقليمية .**

تقويم الطلاب فى جامعة الهواء :

هناك تقويم على مدار العام الدراسى ، حيث يتم تقويم عمل الدارس عن طريق المراسلة واللقاء المباشر ، ويقوم المحاضرون وهيئة التدريس بتقويم الواجبات التى يكلف بها الطلاب ، والتى يرسلونها بالبريد إلى الجامعة ، ويتضمن التقويم توجيهات للدارس ، كما يتم هذا التقويم فى أثناء الدراسة المنتظمة ، وفى أثناء الزيارات التى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس للأقاليم للالتقاء بالدارسين ، ومناقشة ما يصادفهم من مشكلات فى المقررات ، وفى هذه اللقاءات يقوم عمل الدارسين من خلال ما أنجزوه من أعمال كلفوا بها فى لقاء سابق .

وهناك امتحانات لكل مقرر ، وتحقيقاً للعدالة يمتحن الطلاب جميعاً فى مكان واحد بامتحان موحد تشرف عليه الجامعة . وتعلن كل جامعة جدولاً لامتحاناتها منذ بداية العام الجامعى ، ويدخل الدارس الامتحان إذا رأى أنه يمكنه دخوله ، وتشترط بعض الجامعات تقديم بحث فى نهاية العام واختبار الدارسين شفوياً .

تمويل جامعة الهواء :

كانت الجامعات الخاصة التى يتم بها التعليم بالمراسلة ، تعتمد فى تمويلها كلية على ما يدفعه طلابها ، ومع بداية السبعينات تغيرت الحال ، حيث بدأت الدولة تقدم معونات مالية لهذه الجامعات ، بما يعادل ثلث ميزانياتها تقريباً . ولما كان التعليم بالمراسلة يتم من خلال جامعات قائمة ، فإن تكلفته تعتبر منخفضة نسبياً ، إذا ما قيس بجامعات تقدم تعليماً مفتوحاً فقط .

ويدفع الطلاب مصروفات سنوية للتسجيل والدراسة ، ويمثل ما يدفعه الطالب الذى يتعلم بالمراسلة ١٦,٧% ، مما يدفعه الطالب المنتظم ، وعموماً يمكن القول بأن هناك مصدرين أساسيين لتمويل جامعة الهواء هما :

أ) الرسوم التى يدفعها الطلاب ، وتنقسم إلى رسوم الالتحاق ، ورسوم التعليم .

ب) ما تخصصه الدولة للجامعة من تمويل حكومى .

ورسوم الالتحاق التى يدفعها الطلاب فى جامعة الهواء رسوم زهيدة جداً ، إذا ما قورنت بمثيلتها فى الجامعات العامة أو الجامعات الخاصة .

تحليل مقارن لنظام الجامعات المفتوحة فى إنجلترا واليابان :

هناك تشابه كبير بين النتائج التربوية التى حققتها كل من الجامعة المفتوحة فى إنجلترا وجامعة الهواء فى اليابان ، يتمثل فيما يلى :

- تشابهت الجامعتان فى مقدرتهما على تحقيق توازن بين دورهما فى تقديم الخدمات التعليمية لطلابهما ، وبين تشجيع البحث العلمى الذى يعد من أبرز سمات هاتين الجامعتين ، والذى استهدف تنظيم العمل بكل جامعة وتطوير خدماتها التعليمية ، فضلاً عن تطوير التعليم الجامعى القائم بصفة عامة، وتطوير التعليم الجامعى المفتوح بصفة خاصة ، فقد أنشأت كل جامعة مؤسسات علمية خصيصاً لدعم جهود البحث العلمى ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الأبحاث العلمية لا تقوم على أساس فردى ، بل تتم من خلال فرق للأبحاث يوجد منها فى إنجلترا ٢٥ فرقة تابعة لمعهد تكنولوجيا التعلم الذى أنشأته الجامعة المفتوحة ، وفى اليابان أنشأت وزارة التربية والتعليم اليابانية المعهد القومى لتطوير التعليم عن طريق الوسائط

المتعددة ، وقد نجحت هذه المؤسسات العلمية فى تطوير المقررات الدراسية وطرق التدريس التى تستخدم فى التعليم من بعد .

- حققت هاتان الجامعتان نجاحاً كبيراً ، فى إعداد المقررات الدراسية إعداداً جيداً ، وذلك لأنهم لم يتركوا إعداد المقررات الدراسية لشخص بعينه ، بل أدخلت طريقة " فرق وضع المقررات الدراسية " ، وهذه الفرق تضم متخصصين فى تكنولوجيا التعليم ، ومتخصصين فى الإخراج الإذاعى والتليفزيونى ، وأساتذة أكاديميين ، وكانت النتائج التى حققتها هذه الفرق أن هذه المقررات خرجت للدارسين بالتكلفة المناسبة ، وكانت لها فعالية جيدة فى إخراج مادة علمية جيدة. إن تلك المقررات التى تم إنتاجها بهذه الطريقة تتفوق فى جودتها على أية مقررات أخرى أنتجت بطريقة فردية ، وأن فكرة فريق وضع المقرر الدراسى تعد الإسهام البارز الذى ساهمت به الجامعة المفتوحة فى مجال التعليم الجامعى .
- أوجد التعليم المفتوح فى كل من إنجلترا واليابان مفهوما جديدا فى عمليات النظام هو " فريق صيانة المقرر " تمثلت مسئولياته فى الحفاظ على المقرر الدراسى فى حالة جيدة وفى مستوى جيد ، طوال فترة استعماله التى حددتها الجامعتان بأربع سنوات ، واستمرار تطوير وتعديل وتصحيح محتوى المقرر الدراسى .

- نجح التعليم المفتوح فى إنجلترا واليابان ، فى استخدام واستثمار التكنولوجيا الحديثة فى طرق التدريس ، حيث يعتمد على الإذاعة والتليفزيون والشرائط المسجلة المسموعة والمرئية ، بصورة جعلت منه التعليم الشعبى لدرجة جعلت عامة الناس يستفيدون من برامجه دون أن يتكلفوا شيئاً أو يسجلوا أسماءهم للدراسة بالجامعة ، بسبب اعتماد التعليم المفتوح على التكنولوجيا الحديثة التى أدت إلى تنوع طرق التدريس ، وأصبحت عملية توصيل المعلومات سهلة وبسيطة ومتناسبة مع قدرات الدارسين والفروق الفردية بينهم .
- أيضاً كان للتعليم المفتوح فى كلا البلدين آثار جيدة على إخراج الكتاب المدرسى ، فالكتب الدراسية وظيفتها معروفة ، ولكن ما يهنا ما تحتويه من غير المألوف ، فأصبحت تتضمن إرشادات منهجية حول التعليم فى إطار الجامعة ، ولفت الانتباه للملاحظات الخاصة بكل حلقة تليفزيونية ، وترشد إلى الأعمال الواجب تأديتها قبل الحلقة التليفزيونية ، وتصف الحالات التى سوف تعرض وتدعو المعلمين إلى اتخاذ المواقف المناسبة لظروف مماثلة ، وتتضمن الكتب أيضا حوارات مستقاة من اللقطات المصورة أو من أنشطة استشهادات ، كل هذه العناصر مكنت المعلمين والدارسين من الاستفادة الكاملة من الدروس المذاعة بالراديو أو التليفزيون ، ونمت لديهم القدرة على

التأمل في المواضيع التي تعالج بكل حلقة ، وتنتهي الوحدات الدراسية بالكتب المقررة بأسئلة وتمارين تسمح للطالب بالمراقبة الذاتية والتقييم الذاتي .

- نجح التعليم المفتوح في كل من إنجلترا واليابان في تغيير مفهوم التقويم ، فلم يعد هدفه الوحيد الحكم على قدرات الدارسين ، بل أصبح له هدف علاجي ، حيث يهدف إلى البحث عن نقاط الضعف لدى الدارسين ، ويعرفهم بها ، ويصف لهم كيفية التخلص منها أولا بأول ، وذلك من خلال عمليات التقويم المستمرة أثناء العام الدراسي ، هذا بالإضافة إلى تقويم آخر العام ، وكان لهذه الطريقة في التقويم نتائج جيدة لا في الكشف عما حفظه الدارسون من مواد دراسية ، ولكن في الكشف عن قدرات الدارسين على التحليل والتعميم والمقارنة والتقويم ، ولضمان جدية وجودة التقويم ، استعانت كل من الجامعة المفتوحة في إنجلترا وجامعة الهواء في اليابان بممتحنين خارجيين وبمراقبين متخصصين في المواد الدراسية في تقويم الدارسين بهما لضمان تحقيق المستوى الأكاديمي المناسب .
- كان للتعليم الجامعي المفتوح انعكاسات جيدة على النظم الإدارية له ، فمنذ عام ١٩٩١م تخلت الجامعة المفتوحة في إنجلترا عن مركزية القبول ، وحملت المراكز المحلية الثلاثة عشر مسئولية الإشراف على القبول والتعليم والإرشاد وتوزيع

المـواد التعليمية وتجميع الواجبات وإعادتها بهدف التسهيل على الدارسين وتقديم خدمات تعليمية أفضل . وكان للنتائج التى حققتها لا مركزية الإدارة فى إنجلترا واليابان ، أن كثرت المراكز الدراسية المحلية ، وأصبحت هذه المراكز أكثر قدرة على السيطرة على العملية التعليمية ، وتقديم خدمات بصورة أفضل .

ويمكن تفسير هذا التشابه بين البلدين فى ضوء العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية ، فمن جهة يوجد بعض التشابه فى جوانب الحياة بين كل من إنجلترا واليابان ، حيث تأثرت اليابان بإنجلترا تأثراً ملموساً ، حيث يذكر إدوارد بوشامب : أنه فى أعقاب ١٨٦٨ انفتحت اليابان على التعليم الغربى بكل قلبها وعقلها ، حيث أعلن الإمبراطور ميجى : " إن المعرفة سوف يبحث عنها ويقتفى أثرها فى كل أنحاء العالم " ، ولذا كان إرسال مئات من الطلاب اليابانيين إلى دول كثيرة ومنها إنجلترا ، وذلك بهدف تعلم أسرار التكنولوجيا الغربية والإنتاج .

كذلك كانت دعوة آلاف من الخبراء الأجانب إلى اليابان بمرتبات مغرية ، وكانت مهمة هؤلاء الخبراء الأجانب الأساسية هى مساعدة اليابانيين فى إنشاء أعداد كبيرة ومتنوعة من المعاهد

والمؤسسات ، ابتداء من إنشاء المصانع إلى بناء شبكات للسكك الحديدية ، ومن كتابة الدستور إلى تقديم طرق الزراعة الحديثة وأساليبها .

ومن جهة أخرى هناك قواسم مشتركة تجمع بين إنجلترا واليابان ، فالعوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية تؤكد ذلك ، فكلا البلدين قد بنى نظمه التعليمية الحالية على أسس راسخة من الاستقرار الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، وذلك منذ فترة طويلة ، حيث تحقق ذلك فى اليابان منذ عصر الإمبراطور ميجى فى منتصف القرن التاسع عشر ، وفى إنجلترا منذ عصر الكشوف الجغرافية وعصر الاستعمار ، حتى أن هناك من يقول بأن الجامعة المفتوحة تقليد بريطانى ، كدليل على عراقة إنجلترا فى ذلك المجال وتقديمها فيه وسبقتها كثير من الدول ، ثم استفادت منها اليابان بعد ذلك .

أيضا يرجع هذا التشابه إلى تبنى الدولتين لكثير من المفاهيم الإدارية الحديثة ، وخاصة فى مجال التعليم عامة والتعليم الجامعى خاصة ، مثل الرقابة على الجودة الشاملة وإدارة الجودة الشاملة ، والتغيير التدريجى والتحسين المستمر .

أما عن أوجه الاختلاف بين الجامعة المفتوحة فى إنجلترا ، وجامعة الهواء فى اليابان فإنها تتمثل فيما يلى :

- تختلف جامعة الهواء في اليابان عن الجامعة المفتوحة في إنجلترا في أن جامعة الهواء ، ليست قائمة بذاتها ، إنما هي جزء لا يتجزأ من بنية الجامعات التقليدية الحكومية ، فلقد أنشئ التعليم الجامعي المفتوح في اليابان ، في كليات أو أقسام قائمة بالفعل ، ليكون موازيا لبرامج الدراسة النظامية ، بينما في إنجلترا تكون الجامعة المفتوحة كيانا مستقلاً عن الجامعات الحكومية ، ومن ثم فهي تتمتع بحرية أكاديمية واسعة ، واستقلال مالي وإداري كبيرين .
- تختلف الجامعة المفتوحة في اليابان عن الجامعة المفتوحة في إنجلترا ، في أن شروط قبول الطلاب بجامعة الهواء ، هي نفس الشروط التي يؤخذ بها في الجامعات الحكومية ، أما في إنجلترا ، فإن تلك الشروط تختلف اختلافا واضحاً في الجامعة المفتوحة عنها في الجامعات الحكومية .

ويمكن تفسير أوجه الاختلاف بين البلدين في ضوء القوى السياسية ، وخاصة ما يتصل منها بنمط الإدارة وفلسفتها ، ففي اليابان تستند الفلسفة الإدارية والتنظيمية بالمنظمات اليابانية ــ ومنها بطبيعة الحال الجامعات عامة وجامعة الهواء خاصة ــ على عدد من الدعائم ومنها :

(١) سيادة نظام الإدارة أو التنظيم العضوي ، ففي ظل هذا النظام يشعر كل عضو بالمنظمة أنه أكثر ارتباطاً بزملائه أو العاملين

معـه ، فالمـنظمة هـى المسـتقبل ، والـتعاون والتكاتف والمشاركة بالجهـد والفكـر ، وحـل المشـاكل والالتـزام بتحقـيق أهـداف المـنظمة، والاعـتقاد فـى قـوة الجماعـة هـى ضرورات أو أسس بـناء المسـتقبل للفـرد ممـا يعنـى اسـتمراره فى العمل بالمنظمة ونمـوه فـيها واسـتمرار العمـل هـذا يتوقف أساساً على استمرار وبقاء المنظمة فى السوق ، بل ونموها أيضا .

(٢) جماعـية الإدارة ، إذ أن مـا يميـز نظـام الإدارة فـى المـنظمات اليابانـية هـى جماعيـتها ، فالـتعاون والـتكامل والعمـل ليس فقط جنـبا إلـى جـنب بـل يـدا بـيد ، والمشـاركة فى اتخاذ القرارات ووضـع الأهـداف والإيمـان الشـديد والقوى فى قوة الجماعة ، هى سمات تنفرد بها نظم إدارة المنظمات اليابانية .

وتعتبـر الـيابان مـثالاً حـيا وممتازا ــ فى ضوء المنظور التاريخى الحـديث ــ لكيفـية تطبـيق أسـلوب حـل المشكلات Problem Solving Approach ، إذ أن الاستسـلام والاحـتلال والإجـراءات اللاحقـة لـه فى الـيابان بعـد الحـرب العالمـية الثانـية ، لـم تحـول دون المحافظة على الاعـتقادات العمـيقة والأصـيلة فـى الشـعب اليابانى ، والتى يعزى إليها كل ما تم تحقيقه من نهضة وتقدم فى اليابان .

أمـا فـى إنجلتـرا فـإن الـنمط اللامركـزى فى الإدارة عامة وإدارة الجامعـة المفـتوحة خاصـة ، قـد شـجع على التنافس والفردية ، لذا فإن

هناك ميلا لدى الأفراد للانتقال من منظمة إلى أخرى ، وذلك لتحقيق الأهداف والطموحات المادية ، وتحقيق المكانة الاجتماعية .

أيضاً يمكن تفسير ذلك الاختلاف إلى عوامل اجتماعية تتمثل فى تفوق اليابانيين – على كل الدول المتقدمة ومنها بطبيعة الحال إنجلترا – فى السعى الجماعى للمعرفة ، بصورة دفعت إزرا ف . فوجل Ezra F. Vogel للقول : " لو أن هناك سببا وحيدا يفسر بمفرده نجاح اليابانيين ، لكان هذا هو سعيهم الجماعى الموجه طلبا للمعرفة " .

ثالثاً : واقع التعليم الجامعى المفتوح فى مصر

شهد عام ١٩٨٧م الدعوة إلى التعليم الجامعى المفتوح فى الخطاب السياسى ربما لأول مرة ، إذ أعلن وزير التعليم فى مارس ١٩٨٧م أنه سيتم إنشاء الجامعة المفتوحة بدءاً من العام المقبل ٨٧/ ١٩٨٨ ، ويتم التدريس فيها من خلال الوسائل التعليمية الحديثة كالتليفزيون والكاسيت لإتاحة الفرصة للتعليم العالى أمام الجميع فى تخصصات العلوم الفنية والعلوم الأساسية ، فهى لن تكون مقصورة على العلوم النظرية .

ثم يجتمع مجلس رؤساء الجامعات برئاسة الوزير ويقرر بدء القبول فى الجامعة المفتوحة من العام القادم للحاصلين على الثانوية العامة والفنية ، وتمنح الجامعة درجة البكالوريوس والليسانس والماجستير والدكتوراه فى العلوم والدراسات التكنولوجية والتربوية والرياضيات وهذه التجربة طبقت فى إنجلترا واليابان والهند وتركيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول . وقد قرر المجلس تشكيل لجنة لوضع التصور النهائى للجامعة المفتوحة والتخصصات والإدارة والقبول بها ، حيث يمتد نشاطها ليخدم أبناء الدول العربية .

وبالفعل أصدر وزير التعليم رئيس المجلس الأعلى للجامعات القرار الوزارى رقم ٢٨٥ فى ١٩٨٧/٤/٥ بتشكيل لجنة برئاسة نائب

رئيس جامعة القاهرة تختص بوضع تصورها حول كل ما يتعلق بالجامعة المفتوحة .

وقد أصدرت اللجنة تقريراً عنوانه : تقرير لجنة دراسة نظام الجامعة المفتوحة والدراسات والآراء التى أثيرت حول الفكرة ، فى الشهر التالى مباشرة مايو ١٩٨٧م ، وانقسم التقرير إلى قسمين : القسم الأول : الأسس العامة لنظام الجامعة المفتوحة فى العالم . والقسم الثانى : توصيات اللجنة وملاءمة تطبيق الفكرة فى مصر . وانتهى التقرير فى توصياته إلى ما يلى :

١) استبعاد إنشاء الجامعة المفتوحة كمشروع أهلى خاص .
٢) تحديد موارد الجامعة وإدارتها .
٣) توفير المقومات الأساسية اللازمة لتنفيذ الفكرة .
٤) التدرج فى تنفيذ أنواع برامج الجامعة المفتوحة مع استبعاد منح درجات علمية بعد الدرجة الجامعية الأولى .
٥) استبعاد قبول غير الحاصلين على الشهادة الثانوية بأنواعها للقبول بالبرامج .

وفى ضوء ذلك التقرير وافق المجلس الأعلى للجامعات فى اجتماعه فى ١٩٨٩/١٢/٧م على الأخذ بنظام التعليم المفتوح فى الجامعات التى ترغب فى إقامة هذا النوع من التعلم .

وفـي عـام ١٩٩٠م وافـق المجلـس الأعلـى للجامعات على إنشاء مراكـز التعلـيم المفـتوح كـوحدات ذات طابـع خـاص بكـل من جامعة القاهـرة والإسـكندرية وأسـيوط لـتقديم تعلـيم مستمر بالإسهام فى تعليم أفراد المجتمع .

وكانـت جامعـة الإسـكندرية رائـدة فـى الاسـتجابة لقرار المجلس الأعلـى للجامعـات ، وذلـك بإدخـال بـرنامج التعلـيم المفـتوح فى كلية الـتجارة ، وذلـك بإضـافة شـعبة جديـدة تسـمى شـعبة المال والأعمال (نظـام التعلـيم المفـتوح) وافـق علـيها المجلـس الأعلى للجامعات فى ١٥/٨/١٩٩٠م وصـدر بحقهـا القـرار الـوزارى رقم ٩٧٨ بتاريخ ٢٨/ ٨/١٩٩٠م ، تلـيها جامعـة أسـيوط ، التـى وافـق المجلـس الأعلـى للجامعـات علـى إنشـاء شـعبة اقتصـاديات وإدارة مشـروعات بكلـية الـتجارة بهـا فـى ١٠/١٢/١٩٩٠م ، وصـدر بحقها القرار الوزارى رقم ١٢٩ بـتاريخ ٢٣/٢/١٩٩١م بشـأن إنشـاء شـعبة اقتصـاديات وإدارة مشـروعات بكلـية الـتجارة بجامعـة أسـيوط ، ثم يأتى أخيراً دور جامعة القاهـرة، ليصـدر بحقهـا قـراران وزاريان فى يوم واحد (٨/١/١٩٩١م) همـا القـرار رقـم ١٨ بشـأن اعـتماد قـرار اللجنة العليا لتخطيط التعليم المفـتوح بالنسـبة لبـرنامج المعـاملات المالـية والتجارية بكلية التجارة ، والقـرار الـوزارى رقـم ١٩ بشـأن اعـتماد قـرار اللجنة نفسها بالنسبة لبـرنامج استصـلاح واسـتزراع الأراضـى الصـحراوية بكلـية الزراعة ، بـنظام التعلـيم المفـتوح لكـل مـنهما ، حـيث يقدم مركز التعليم المفتوح

برامج تؤدى إلى الحصول على درجة البكالوريوس من جامعة القاهرة ، وهى برامج صممت خصيصاً لتفى بحاجات جديدة ولتلائم نظام التعليم المفتوح .

كما يقدم برامج تأهيلية يصممها لإكساب دارسيها مزيداً من الخبرات والمهارات ، وهى لا تؤدى إلى درجة علمية ، بل شهادة من جامعة القاهرة تفيد اجتيازها .

أهداف التعليم الجامعى المفتوح :

وتحددت أهداف التعليم المفتوح فيما يلى :

- إتاحة فرصة التعليم المستمر للطلاب والعاملين الذين يرغبون فى رفع مستواهم العلمى والثقافى .
- توفير فرصة متميزة للتعليم لمن لا تستوعبهم الدراسة النظامية بالتعليم العالى حاليا .
- توفير الفرصة لأصحاب التخصصات الأخرى بالحصول على درجة علمية فى العلوم التجارية (برنامج المعاملات المالية والتجارية) أو فى العلوم الزراعية (برنامج تكنولوجيا استصلاح واستزراع الأراضى الصحراوية) .
- تنمية وتحديث معلومات ومهارات العاملين فى المجالات السابق ذكرها .

- إتاحة الفرصة أمام المصريين وغير المصريين للدراسة والحصول على الدرجة الجامعية الأولى مع بقائهم فى محل أقامتهم متابعين لأعمالهم .

نظام قبول الطلاب :

يشترط للقبول بالتعليم المفتوح ، الحصول على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها(أو إحدى الدبلومات الفنية التجارية لبرنامج المعاملات المالية والتجارية) أو الحصول على شهادة جامعية . ولا يتم التقيد بمجموع الدرجات فى الثانوية العامة ، إضافة إلى انقضاء خمس سنوات بعد الحصول على شهادة الثانوية العامة . ولم يكن هذا الشرط موضوعا عند بدء العمل بنظام التعليم المفتوح ، إلا أن المجلس الأعلى للجامعات قد أصدر قراره بذلك فى أغسطس ١٩٩٢، ولا توضع هذه الشروط بالنسبة للبرامج التأهيلية (القصيرة) التى لا تتجاوز فصلين دراسيين ، مثل برنامج تكنولوجيا الحاسب الآلى وتطبيقاته ، وبرنامج الدراسات الثرية والإرشاد السياحى ، وبرنامج تنمية مهارات لغة الاتصال بالإنجليزية ، الذى يتم قبول الدارسين فيه من الحاصلين على مؤهلات عالية ومتوسطة وفوق المتوسطة ، ومن طلاب الدراسات العليا ، مع إجراء اختبار أولى لتحديد المستوى الذى يلحق به الدارس ، إذ تتم الدراسة على ثلاثة مستويات ، ويتم التسجيل فى عدد من المقررات لا يزيد عن خمسة مقررات ببرنامج

المعـــاملات المالـــية والـــتجارية ، وســـتة مقـــررات لبـــرنامج استصـــلاح واســـتزراع الأراضـــى الصـــحراوية ، ويجـــوز للطالـــب التســـجيل فـــى مقـــررات المســـتوى التالـــى ، لاســـتكمال عـــدد المقـــررات التى يرعب فى التسجيل فيها ، بشرط استيفائه للمتطلب السابق لكل مقرر.

البرامج ونظام الدراسة :

تقوم مراكز التعليم المفتوح بتنفيذ مجموعة من البرامج تتمثل فيما يلى :

١) برامج تعليمية للحصول على درجة جامعية .

٢) برامج تعليمية لإعادة التأهيل حسب احتياجات المجتمع .

٣) التعلـــيم المســـتمر للطلـــبة والعاملـــين ، الـــذين يـــرغبون فـــى رفـــع مستوى ثقافتهم .

ولقـــد بـــدأت الدراســـة فـــى مركـــز التعليم المفتوح بجامعات القاهرة والإســـكندرية وأســـيوط فـــى العـــام الجامعى ٩٠/ ١٩٩١ م . ببرنامج فى تخصـــص (المـــال والأعمـــال) بكلـــية الـــتجارة جامعة الإسكندرية ، وهو بـــرنامج يجمـــع بـــين تخصصـــات إدارة الأعمـــال والمحاســـبة والاقتصاد ، ويهـــدف إلـــى إكســـاب الخـــريجين قـــدرات عملـــية فـــى مـــيادين الإدارة والمحاســـبة المالـــية والضـــريبية . وفـــى ١٩٩١/١/٨ م صـــدر قـــرار وزارى رقـــم ١٨، ١٩ بإضـــافة شـــعبة المعـــاملات المالية والتجارية وفقا لـــنظام التعلـــيم المفـــتوح بكلـــية الـــتجارة جامعـــة القاهرة ، فى تخصصات الإنـــتاج والإدارة الصـــناعية ، الـــتمويل والاســـتثمار ، التســـويق ،

المحاسبة والمراجعة ، محاسبة التكاليف ، المحاسبة الحكومية والضريبية ، التأمينات العامة ، التأمينات الاجتماعية ، تأمينات الحياة، وإضافة شعبة تكنولوجيا استصلاح الأراضى الصحراوية بكلية الزراعة جامعة القاهرة .

وتقوم الدراسة فى برنامج التعليم المفتوح على أساليب التعلم من بعد ، وعلى مبدأ التعلم الذاتى من الطالب ، الذى يختار مجموعة من المقررات ، ويستعين بالمراجع العلمية والأشرطة المسموعة والمرئية وحقائب المختبرات ووسائط الحاسب الآلى فى دراستها ، ويمكن للطالب أن يسجل فى عدد من المقررات لا تزيد عن خمسة (أو بحسب طبيعة البرنامج) ، وتسير الدراسة وفقا لنظام الفصول الدراسية ، حيث يتكون العام الدراسى من فصلين رئيسيين مدة كل منهما ستة عشر أسبوعا متصلة ، بالإضافة على فصل صيفى مدته ثمان أسابيع ، وتعقد الامتحانات فى نهاية كل فصل دراسى ، وذلك فى المقررات المسجل بها الطالب ، وتطبق القواعد المتعلقة بالنجاح والرسوب للكلية على برنامج التعليم المفتوح .

وبالنسبة لبرنامج (المعاملات المالية والتجارية) ، فإن المقررات تتوزع على أربعة مستويات راسية ، ينقسم كل منها إلى

فصلين دراسيين ، يدرس الطالب خمسة مقررات في كل فصل دراسي. المستوى الأول موحد لكل التخصصات ، أما المستوى الثانى فيختار الطالب أحد المجالات الثلاثة التالية : المحاسبة – إدارة الأعمال – والتامين . أما المستويين الثالث والرابع فيختار الطالب أحد تخصصات المجال الذى يتخصص فيه .

أما برنامج تكنولوجيا استصلاح واستزراع الأراضى ، فيتضمن : مقررات إجبارية ، ومقررات اختيارية ، إلى جانب التدريب العملى .

وفى مراكز التعليم الجامعى المفتوح تتنوع وسائل التعليم لتشمل ما يأتى :

١) الكتب الدراسية ، وقد أعدت بطريقة تتمشى مع التعلم الذاتى ، حيث تتضمن تطبيقات وتقويما مرحليا ونهائيا .

٢) التسجيلات المسموعة والمرئية .

٣) التمدرس ، إذ أن هناك كليتى التجارة والزراعة بجامعة القاهرة بالنسبة للمقيمين بالقاهرة ، مراكز إقليمية هى :

أ- تجمع شمال الدلتا (الإسكندرية – البحيرة – مطروح) بأكاديمية النقل البحرى بالإسكندرية .

ب- تجمع جنوب الدلتا (الدقهلية – كفر الشيخ – الغربية – الموفية) بأكاديمية السادات بطنطا .

ج- تجمع شمال الصعيد (بنى سويف – الفيوم – المنيا) بكلية التجارة ببنى سويف .

د- تجمع جنوب الصعيد (أسيوط ـ سوهاج ـ قنا ـ أسوان ـ البحر الأحمر ـ الوادى الجديد) بأكاديمية السادات بأسيوط .

ه- تجمع القناة وسيناء (بورسعيد ، السويس ـ دمياط ـ الاسماعيلية ـ شمال سيناء ـ جنوب سيناء) بأكاديمية السادات ببورسعيد .

وتقدم هذه المراكز نفس الخدمات التى تقدم للدارسين بالمركز الرئيسى، بدءا من التسجيل فى أول الفصل الدراسى ، مرورا على الخدمات التعليمية واللقاءات الدورية ونظام الاستماع والمشاهدة ، وانتهاء بحضور الامتحانات فى آخر الفصل الدراسى ، حتى إعلان النتائج بها .

تمويل التعليم المفتوح :

تقدم مراكز التعليم المفتوح خدماتها التعليمية فى مقابل مصروفات ، حيث يسدد المتقدم المصرى مائة جنيه عن كل مقرر يسجل فيه . علاوة على مائتى جنيه يسددها المتقدم لبرنامج تكنولوجيا استصلاح واستزراع الراضى الصحراوية مقابل المعامل والتدريب ، ويسدد المتقدم الوافد (غير مصرى) ألف جنيه إسترلينى مرة واحدة عند الالتحاق ببرنامج المعاملات المالية والتجارية ، غير مائة جنيه

إسترلينى عن كل مقرر يسجل فيه لهذا البرنامج . أما المتقدم الوافد لبرنامج استصلاح واستزراع الأراضى الصحراوية ، فيسدد ألف وخمسمائة جنيه إسترلينى مرة واحدة عند الالتحاق ، غير مائة وخمسة وعشرين جنيها إسترلينيا عن كل مقرر .

ويمكن للعاملين بالحكومة وقطاع الأعمال تقسيط الرسوم على دفعتين ، كما يراعى فى بعض الحالات الاجتماعية تخفيض الرسوم أو الإعفاء منها .

ومن الطريف أن مصاريف الدراسة قد اختلفت من كلية إلى أخرى ، على الرغم من أنها تقدم مقررات متماثلة ، وهذا يعنى غياب المعايير الموضوعية التى تحكم تقدير هذه المصروفات ، وأنها تتم بصورة عشوائية .

نظام تقويم الطلاب :

نصت المواد (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) التى تتناول نظام تقويم الطلاب بمراكز التعليم المفتوح على ما يلى :

- تعقد الامتحانات فى نهاية كل فصل دراسى ، وذلك فى المقررات المسجل فيها الطالب ، ويكون مركز التعليم

المفتوح مقرا للامتحانات ، ويجوز أن تعقد فى بعض المقار الخارجية بموافقة مجلس إدارة المركز ، وبناء على اقتراح الكلية المعنية .

- يقدر نجاح الطالب فى كل مادة على أساس الامتحان التحريرى ، وكذلك على إجاباته على الأسئلة الملحقة بكتاب المادة ، ويجوز عقد امتحانين بحد أقصى خلال الفصل الدراسى ، كما يجوز أن يطلب من الطالب أن يقدم تقارير أو أبحاث عن المادة العلمية ، ويدخل تقديرها ضمن التقدير النهائى للمادة .

الجامعة المفتوحة فى مصر
فى ضوء التجارب السابقة

أولا : ملاحظات على واقع الجامعة المفتوحة فى مصر :

- إن مركز التعليم الجامعى المفتوح بجامعة القاهرة جاء صورة متكررة للجامعة الإنجليزية المفتوحة ، رغم اختلاف الظروف بين إنجلترا ومصر ، والذى جاء مولده فكرة وتبلوره جنينا متزامنا مع أفكار تتحمس لها الدولة ، لجعل التعليم عموما والتعليم العالى خصوصا بمصروفات ، وهو أمر عابه المؤرخون للتعليم فى مصر على الإنجليز ، عندما كانوا يحتلون مصر .
- إن الهدف المثالى من أهداف النظام الذى هو توفير فرصة مميزة للتعليم لمن لا تستوعبهم الدراسة النظامية بالتعليم الجامعى حاليا، وهو هدف يحمل بين طياته من التناقض والغموض ما يجعله يهدم المشروع هدما ، فإذا كان المشروع مشروعا لمن لم يستطيعوا ، بمجموع الدرجات التى حصلوا عليها فى الثانوية العامة ــ وهو المقياس الوحيد الممكن فى مصر لقياس قدرات الطلاب ، وقبولهم فى الجامعات أو رفضهم وتوزيعهم على كلياتها المختلفة ــ أن يجدوا لهم مكانا فى الجامعات ، فكيف يوفر

المشـــروع فرصـــة مميـــزة ؟ إن الفرصـــة المميـــزة ، إنما هى فرصة مـــن وزعهـــم مكـــتب التنســـيق علـــى الجامعـــات من الحاصلين على الـــثانوية العامـــة ، ليحصـــلوا علـــى الدراســـة الجامعـــية المنـــتظمة ، وليســـت مميـــزة أبـــدا فرصـــة من يتلمسون السبل كلها ليحصلوا على الدرجة الجامعية ، دون أن يعايشوا الحياة الجامعية .

- إن بـــدء تنفـــيذ هـــذا التعلـــيم اعتـــبارا مـــن العـــام الجامعـــى ٩٠/ ١٩٩١ م قـــد تـــم بســـرعة كبيـــرة جـــدا ، أى فـــى أقـــل مـــن ثـــلاث ســـنوات مـــن الدعـــوة إلـــيه ، بيـــنما فـــى دولـــة مـــتقدمة تكنولوجيا بعامـــة وفـــى تكنولوجـــيا الاتصـــالات بخاصـــة وهـــى الـــيابان ، ظهـــرت الدعـــوة إلـــى جامعـــة الهـــواء رســـميا عـــام ١٩٦٩ ، وشـــكلت لجـــان بـــدأت دراســـات وبـــرامج للتحضـــير والإعـــداد ، حتـــى ظهـــرت إلـــى حيـــز الوجـــود عـــام ١٩٨٥ ، وفـــى بـــريطانيا دعـــا ويلســـون عـــام ١٩٦٣ إلـــى إنشـــاء جامعـــة الهـــواء ، وفـــتحت الجامعـــة المفـــتوحة أبـــوابها فـــى أوائـــل الســـبعينات . أى أن الأمـــر اســـتغرق مـــا بـــين الدعـــوة والتنفـــيذ قـــرابة عشـــر ســـنوات . إن ذلـــك يفســـر ويجـــيب علـــى ســـؤال هـــام : لمـــاذا ينجحون هناك ؟

- إن البـــرامج الدراســـية التـــى تقـــدمها المراكز ومنها على سبيل المثال (بـــرنامج المعـــاملات المالـــية والـــتجارية ، وبـــرنامج تكنولوجـــيا استصـــلاح واســـتزراع الأراضـــى الصـــحراوية) ، بـــرامج عملـــية

بطبيعتها ، ولا يصلح لها إلا برامج الدراسة النظامية ، ومع ذلك فإن دراسة تتبعية لخريجي كليات الزراعة وكليات التجارة فى سوق العمل فى السنوات العشر الماضية ، يمكن أن تدلنا على المستقبل المظلم الذى ينتظر خريجى البرنامجين .

- إن سوق العمل فى مصر يعانى من بطالة سافرة ومقنعة وبنسب عالية لخريجى التجارة والزراعة ، ومع ذلك فإن البرامج المقدمة الآن فى التعليم المفتوح برامج تجارية وزراعية تحت مسميات قد تبدو للوهلة الأولى مختلفة . وهى فى الحقيقة نفس التخصصات الموجودة فى كليات التجارة والزراعة بالجامعات المصرية .

- إن الطلاب يحصلون فى مقابل ما يدفعونه للمركز على الكتاب الدراسى وشريط مسموع وآخر مرئى ، وطبيعى أن الدارس يستذكر المادة الدراسية من الكتاب ، ويحتاج معه إلى مشاهدة شريط الفيديو . والسؤال هنا : هل جميع الدارسين لديهم أجهزة فيديو فى منازلهم ، ليشاهدوا التسجيل المرئى لجميع المواد الدراسية . ثم أين الوسائط المتعددة الأخرى ؟ إن التعليم المفتوح يعتمد على وسائط متعددة منها المطبوعات من كتب وأدلة وما تبثه الإذاعة والتليفزيون من برامج مذاعة ومرئية وتسجيلات . غير ذلك ، وبدون ذلك يفقد التعليم المفتوح مقوما هاما وأساسيا من مقوماته .

- إن مراكز التعليم المفتوحة قد لا تكون قريبة لطلاب بعض المحافظات ، رغم أن التعليم المفتوح يعتمد على التمدرس، ومن ذلك أن هناك مركزا بالإسكندرية لتجمع شمال الدلتا (الذى يشمل الإسكندرية والبحيرة ومطروح) ومعنى ذلك أن على الدارس الذى يقيم فى مطروح أن يقطع مئات الكيلومترات ذهابا إلى المركز لحضور محاضرة أو لقاء والعودة .
- إن فرص الاختيار محدودة جدا أما الدارسين ، وبخاصة فى برنامج المعاملات المالية والتجارية ، إذ ذكر أن الدراسة تكون موحدة فى المستوى الأول ، ثم يختار الدارس أحد مجالات ثلاثة فى المستوى الثانى ، أما فى المستويين الثالث والرابع فيختار الدارس فى كل مجال من المجالات الثلاثة أحد التخصصات التى تنضوى تحته (وهى ثلاثة تخصصات بالنسبة لكل مجال) .
- إن نظام تقويم الدارسين بالتعليم الجامعى المفتوح لم يأت بجديد ، عما هو مطبق فى الجامعات الحكومية ، رغم اختلاف الخدمات التعليمية المقدمة للطلاب المنتظمين عن أولئك الملتحقين بالتعليم المفتوح ، حيث اعتمادهم على أنفسهم على حد كبير فى عملية اكتساب المعلومات والمهارات من الكتب المقررة .

ثانيا : مقترحات لتطوير التعليم الجامعى المفتوح فى مصر :

- يجب أن تصبح فرص الدراسة بالجامعة المفتوحة المقترحة متاحة لكل المقيمين داخل مصر .الذين لم تمكنهم ظروفهم ولا مجموع درجاتهم من الحصول على فرصة تعليمية بإحدى الجامعات الحكومية ، وحتى تصبح الفرصة المتاحة فرصا متميزة، فإنه يجب أولا : ألا يقل مستوى التعليم داخل الجامعة المفتوحة ، عما هو موجود بالجامعات الحكومية . وثانيا : أن يتم إصلاح نظام تقويم الطلاب بالمرحلة الثانوية العامة ، بحيث لا يكون المعيار الوحيد للحكم على مستوى الطلاب هو مجموع الدرجات فقط ، بل يجب إدخال معايير أخرى ، يمكن من خلالها الحكم على مستوى الطلاب وتوزيعهم على الكليات التى تتفق مع قدراتهم واستعداداتهم ومواهبهم .
- يجب أن تكون إدارة الجامعة المفتوحة المقترحة كما يلى :
  - الجمعية العمومية : وهى تتكون من عدد محدد من الأعضاء، ينتخب معظمهم من المحافظات ، بجانب عدد آخر يمثل هيئات ذات صلة بالجامعة . كما يجب أن يمثل الطلاب فى هذه الجمعية ، على أن تجتمع الجمعية العمومية مرة واحدة كل عام اجتماعا عاديا تدرس فيه التقارير المقدمة إليها ، وهناك هيئات إدارية مركزية وأخرى لا مركزية ، أما بالنسبة للإدارة المركزية فإنها تتمثل فى :

١) مجلس إدارة الجامعة :ويضم فى عضويته عدد معين من الأعضاء بحكم وظائفهم (رئيس الجامعة ، ونوابه الثلاثة السكرتير المالى) ، وعدد من الأعضاء من خارج الجامعة : مجموعة منهم تمثل المحافظات المختلفة ، وعضو يعينه اتحاد الإذاعة والتليفزيون ، ومجموعة من الأعضاء الأكاديميين ، ومجموعة تمثل الطلاب تختارهم الجمعية العمومية ، ومجموعة من الشخصيات العامة من غير العاملين بالجامعة .

٢) اللجنة الأكاديمية العليا : وهى الهيئة الأكاديمية للجامعة ، وتختص برسم السياسات الأكاديمية ، وتضم اللجنة ممثلين عن هيئة التدريس من المتفرغين العاملين بعض الوقت وممثلين للطلاب . وينبثق عن اللجنة الأكاديمية العليا لجان فرعية من أهمها اللجنة الأكاديمية الاستشارية، اللجان الخاصة مثل لجنة الامتحانات ، لجان المقررات الدراسية ، ولجنة قبول الطلاب ولجنة شئون أعضاء هيئة التدريس .

- يجب زيادة عدد المراكز الإقليمية التى تتبع الجامعة المفتوحة عما هى عليه الآن ، بحيث لا يقل معدلها عن مركز لكل محافظتين ، كما ينبغى أيضا أن يتم إنشاء مركز إقليمى فى كل محافظة من المحافظات النائية (الصحراوية) ، كمحافظة

البحر الأحمر ومحافظة مرسى مطروح ومحافظة الوادى الجديد ومحافظة شمال سيناء وجنوب سيناء ، وذلك تحقيقا لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية .

- يجب القيام بدراسات علمية تقويمية للبرامج التى تقدم بالكليات المختلفة ـ وخاصة الكليات العملية ـ وذلك حتى يمكن تجنب التشابه بينها وبين البرامج التى يمكن أن تقدم فى الجامعة المفتوحة المقترحة ، كما هو موجود حاليا بمراكز التعليم الجامعى المفتوح .

- يجب زيادة عدد البرامج التى ستدرس بالجامعة المقترحة عما هو عليه حاليا ، وأن تصبغ بالصبغة العملية التطبيقية عند تدريسها ، وذلك لتحقيق أمرين أساسيين : أولهما : أن تسد الحاجات الحقيقية للمجتمع ، وذلك فى عصر شهد ويشهد تغيرات حضارية وتكنولوجية ومعرفية عميقة وسريعة . وثانيهما : أن تتاح الفرصة كاملة أمام الطلاب لاختيار المقررات التى تتمشى مع قدراتهم واستعداداتهم ، لا أن تفرض عليهم تخصصات بعينها .

- يجب أن تعتمد الجامعة المفتوحة على أسلوب الوسائط المتعددة ، كما هو موجود فى الدول المتقدمة ، فتقوم بإمداد الطلاب بالمواد والأدوات الدراسية كأشرطة التسجيل والأسطوانات والشفافيات والواجبات المنزلية المكتوبة ، والتى تتطلب الإجابة عنها وإرسالها

إلـــى الجامعـــة لكى يتم تصحيح بعضها بواسطة الأساتذة ، والبعض الآخــر بواســطة أجهزة الكمبيوتر ، بحيث ترسل إلى الدارسين عن طــريق البــريد علـــى فتــرات متقاربة ، وبحيث تتاح الفرصة أمام الدارســين للـــرجوع إلى مراجع أو مصادر أو كتب ، إما بالشراء او بالاستعارة ، على أن تكون متوافرة بالمكتبة داخل الجامعة .

- يجب أن تمول الجامعة المفتوحة المقترحة عن طريق الدولة ، مثلها فـــى ذلــك مــثل بقية الجامعات الحكومية ، وأن تكون لها ميزانيتها الخاصـــة بهـــا ، والتى تنفق منها على شؤونها الأكاديمية والإدارية بحرية تامة ، هذا بالإضافة إلى ما يدفعه الدارسون .
- يجب أن يكون هناك تقويم على مدار العام الدراسى ، بحيث يتم عمل الــدارس عــن طــريق المراســلة واللقـــاء المباشر ، وبحيث يقوم المحاضــرون وهيئة التدريس بتقويم الواجبات التى يكلف بها الطلاب ، والتـــى يرســـلونها بالبريد إلى الجامعة، ويجب أن يتضمن التقويم توجــيهات للـــدارس ، ويجـــب أن تكون هناك امتحانات متنوعة لكل مقـــرر ، وأن يمـــتحن الطلاب جميعا فى مكان واحد بامتحان موحد تشــرف عليه الجامعة ، تحقيقا للعدالة بين الدارسين ، وتطبيقا لمبدأ تكافـــؤ الفـــرص التعليمـــية ، كمـــا يجب أن تراعى ميول الدارسين ورغـــباتهم بحيث يدخل الدارس الامتحان إذا رأى أنه يمكنه دخوله ، كـــذلك يمكـــن تكلـــيف الدارســـين بـــتقديم أبحاث فى نهاية العام يتم اختبارهم فيها شفويا .

المراجع

(١) أحمد حجي ، التعليم الجامعي المفتوح : مدخل إلى دراسة علم تعليم الراشدين المقارن ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٣٥ .

(٢) عبد الغني عبود : "تجربة الجامعة المفتوحة في مصر"، من : التجارب العربية في مجال الجامعات المفتوحة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩٦ ، ص ٣١ .

(٣) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة : تجارب دولية رائدة في مجال التعليم عن بعد ، اجتماع خبراء حول إنتاج الوسائل التعليمية في مجال التعليم عن بعد ، القاهرة ٢٦ - ٢٩ مايو ١٩٩٦ ، اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

(٤) ميرفت صالح ناصف : دراسة مقارنة لبعض أشكال التجديد في التعليم العالي في ضوء بعض التجارب العالمية ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس ، ١٩٨٤ .

(٥) مكـتب اليونسـكو الإقليمـي للتـربية فـي الدول العربية ، دراسات حـول تخطـيط وتجديـد التعليم العالى فى الوطن العربى ، (سلسـلة دراسـات ووثائـق ـ التعلـيم والتنمـية فـى الوطن العربى) ، العدد ٩ آيار / مايو ١٩٨٥ .

(٦) دراسـات حـول التنمـية والتـربية فـى الـوطن العربـى (سلسلة دراسـات ووثائـق ـ التعلـيم والتنمـية فى الوطن العربى) العدد ١٦ ، إبريل / نيسان ١٩٨٦ .

(٧) بـوبطانة ، عـبد الله ، التخطـيط فـى التعلـيم العالـى : أهدافـه وأسـاليبه ومتطلـباته ، اليونسـكو : سلسـلة دراسـات ووثائـق ، دراسـات حـول تخطـيط وتجديد التعليم العالى فى الوطن العربى ، العدد ٩ آيار / مايو ١٩٨٥ .

(٨) السـيف ، خالـد عـبد الرحمن ، تطوير العمل الإدارى فى الجامعة ، ورة عملمقدمـة للـندوة الفكـرية الثانية لرؤساء ومديرى الجامعـات فـى دول الخلـيج العـربية (جامعة الملك عبد العزيز / جدة ٢٣ ـ ٢٥ رجب ١٤٠٥ هـ) .

(٩) قمبـر ، محمـود ، اسـتراتيجية الإصلاح التربوى وطرائق وأساليب التخطـيط لـه ، اليونسـكو : سلسـلة دراسات ووثائق ، دراسـات حـول التنمـية والتـربية فـى الوطن العربى ، العدد ١٦ أبريل / نيسان ١٩٨٦ .

(١٠) رحمــة ، أنطــون ، قضــايا تخطــيط التعلــيم العالى ومشكلاته فى
الــوطن العربــى ، اليونســكو : سلسلة دراسات ووثائق ،
دراســات حــول تخطــيط وتجديد التعليم العالى فى الوطن
العربى ، العدد ٩ ، آيار / مايو ١٩٨٥ .
(١١) الجامعــة المفــتوحة فــى بــريطانيا ، إعداد الدكتور قمر الدين على
قــرنبع ، بحــث مقــدم لــندوة خبــراء دراسة إمكانية قيام
الجامعــة العــربية المفــتوحة ، عمّان ـــ المملكة الأردنية
الهاشمية ، من ٢٥ ـــ ١٩٧٥/١١/٢٩ .